الإنسان ليس للبيع

روايتان من أدب الخيال العلمي

تأليف

محمد أمين

إهــــداء

إلي ..

من تملكت منى القلب والروح والوجدان

إلي ..

أغلى من حبيبتي .. زوجتي

إلي ..

زهور حياتي

مروه

صفاء

أحمد

آلاء

المؤلف

مقدمة

أحدث التقدم العلمي السريع في جميع مجالاته ثورة هائلة فى المفاهيم الفكريـة التـي كـان يعتقد أنها حقائق تجريبية غير قابلة للتغيـير ، والعمل الذي بين يديك عزيزي القارئ يمثـل رؤية مستقبلية لما سوف تحدثه هـذه الثـورة من اختفـاء للقيـم الإنسـانية المتوارثـة .. والمشاعر .. وستصبح النظـم الاجتماعيـة كتصنيع الأجيال وتصنيفهم حسـب احتيـاج المجتمع أو أصحـاب القـوى المسـيطرة ، وسـيصبح الفـرد مجـرداً مـن العواطـف والأحاسيس ، وسـيتحول إلـي تـرس فـي المنظومة الميكانيكية للمجتمع .

المؤلف

الرواية الأولى

المجتمع يرفض أحياناً

الفصل الأول

في القاعة الرخامية الفخمة ، ذات المقاعد المخملية في لونها النبيتي الداكن ، تبرز طاولتها الأبنوسية في الصدارة ، ومن خلفها لوحة إلكترونية كتب عليها بالإنجليزية عنوان المؤتمر وتاريخه وشعاره حيث أقيم بأحد الفنادق الشهيرة المطلة علي نيل القاهرة الساحر ، وحينما أوشك المؤتمر الطبي لجراحة القلب المفتوح علي الإنتهاء ، حيث كان مخصصاً لدراسة تأثير المخ علي الأجسام الغريبة المنقولة إلى الجسم البشري ، كالكلى والكبد وبعض الغدد ، وخاصة القلب ، ومدى استعداد الجسم لقبوله ، والعوامل الكيميائية المسببة لطرده .

واظب علي حضور جميع الجلسات وفود علي أعلي مستوى علمي ومهني وجراحي ، من جميع دول العالم المتحضر ، والتي تمثل أكاديميات ومستشفيات متخصصة ومشهورة ، وكان من بين الحضور الدكتور "برنارد" جراح القلب البريطاني المشهور ، والدكتور "سميث" الأمريكي ، والدكتور "يوكاوا هيتو" الياباني ، والدكتور "إيان إيفرتون" السويسري ، والدكتور "بيار مارلون " الفرنسي الشاب النابغ ، والدكتور "هنري شميدت " الألماني العصبي المتعصب ، وغيرهم ..

بينما كان يدير المؤتمر .. الذي أقامه علي نفقته الخاصة .. بذكاء العالم والفنان جراح القلب المصري ذو الشهرة العالمية الدكتور "سامي حسنى" ، الذي يحظى بإحترام وتقدير جميع الحضور .

كانت من بين الحضور ، وتجلس على أحد المقاعد بمنتصف الصف الثاني ، سيدة من المجتمع الراقي ، لها بشرة شديدة البياض ، ووجه ضارب بالحمرة ، وترتدى فستان أحمر يظهر مفاتنها سواء من خلال حبكته أو من خلال الأجزاء العارية منه ، كأنها في أحد صالات الديسكو .. أو أحد السهرات الخاصة ، بينما يتدلى شعرها الأسود

الناعم علي كتفيها النحيفتين ، وهى تميل دلالاً برأسـها إلـى الجـانب الأيسر قليلاً ، كما تبدو في الثلاثين من عمرها ..

وبعينيها الواسعتين ، كانت إيناس لا ترفعهما عن الدكتور "سـامي" حينما يلقى محاضراته ، أو حينما يتوسط مساعديه في إدارة المؤتمـر ، كما تصفق بحدة عندما يصفق له الحضـور ، والإبتسـامة لا تفـارق شفتيها الصغيرتين ، وتواظب أيضاً على ألا تفارقه مطلقـاً ، فتجدهـا أثناء فترات الراحة ، التي تتخلل جلسات المؤتمر ، وهى تتأبطـه فـي رواحه ومجيئه ، أو تجدها أيضاً علي طاولتـه وهـو يتنـاول غذائـه وعشائه ، و أحياناً تجدها معه داخل غرفـة نومـه بجناحـه الخـاص بالفندق .. وبالأحرى هي معه في كل مكان ، وتدعـى بمـدام إينـاس بالرغم من أنها غير متزوجـة !.. كمـا تحـب أن يناديـها الدكتـور "سامي" دائماً (بنس نس) ، أو نوسه .

اقتصرت أحد جلسات المؤتمر ، على إجراء جراحة لقلـب طفلـة في العاشرة من عمرها ، وأجراها الدكتور سامي بنفسه فـي مستشـفاه وعلى نفقته الخاصة .. حيث حضر معه داخل غرفة العمليات برنـارد وسميث وبيار وهشام ، أما بقية الأطباء تابعوا الجراحـة مـن خـلال الشاشات التليفزيونية الموجودة خارج غرفة العمليات ، وبعد الجراحـة جرى حديث جانبي بين برنارد و د. سامي جذب انتباه بيار الفرنسـي حينما قال د. سامي :

ـــ كان نفسي أجرب الكمبيوتـر و أخـاطب عقـل الطفلـة أثنـاء الجراحة .. بدلاً من استخدام العقاقير المخدرة أو التي تعمل على قبـول جسدها للجسم الغريب الذي زرعناه .

فقال برنارد :

ـــ أكيد هناك فرصة أخري .. وأنا واثق أنك ستعقد مؤتمر آخر فـي

القريب العاجل .

ثم إنصرف الأطباء إلى غرفهم بالفندق وأحاديثهم لا تنقطع عن مهارة د. سامي وأسلوبه المستحدث في الجراحة .

وفي آخر جلسات المؤتمر ، كان الدكتور سامي يتصبب عرقاً ، ويشعر بإرهاق شديد ، وإعياء وآلام بالكتف ، ثم لا يعير الأمر إهتماماً ويلاحظه برنارد الجالس إلى جواره فيقول :

ــ ماذا بك يا سامي ؟ .

وغير مكترث يقول سامي :

ــ لا شيء يا عزيزي .. إنها أعراض زائفة ، فربما تكون هذه الآلام ناتجة عن الجلسة الطويلة على المقعد ، أو نتيجة المناقشات الحادة للبحوث المقدمة ، أو نتيجة التركيز الذهني المجهد ..

كل الذي يهم سامي هو توصيات المؤتمر وبحوثه ، وخاصة الجديد منها ، والتي ستستفيد منها البشرية ، وجراحي القلب .. لتخفيف آلام الآلاف من المعذبين أصحاب القلوب الضعيفة والأعمار القليلة .

وفي آخر الحوارات الطبية لهذا للمؤتمر .. قال الدكتور برنارد :

ــ إذن ستبقى المشكلة قائمة بين الجسم البشري والأجسام الغريبة المنقولة إليه ، وعلينا أن ننتظر المؤتمر القادم ، حتى ينتهي الدكتور سامي من بحثه على استخدام الكمبيوتر في مخاطبة العقل أثناء الجراحة عن طريق العصب الحائر .. هذا ما همس به في أذني ووعدني به وأنا أثق في بحوثه ..

وبعد كلمة برنارد ساد قليل من الهرج وتعالت بعض الأصوات

بالدهشة والإستغراب ، فقال شميدت الألماني مستفسراً بدهشة حيث وقع الخبر على مسامعه كالصاعقة :

ــ مخاطبة العقل ؟ .. وكيف ذلك ؟ ..

فقال الدكتور سامي والإبتسامة تعلو وجهه الشاحب المرهق :

ــ يا عزيزي شميدت .. تعلم والجميع كذلك ، بما لا يدع مجالاً للشك.. أن الشبكة العصبية بالمخيخ ، وعلى وجه التحديد العصب الحائر، ينقل الإشارات الإلكترونية إلى الغدة المنشطة لعضلة القلب ، وتعلمون جميعاً أن المخ يصدر موجات كهرومغناطيسية ناتجة عن التفاعلات الأيضية الكيميائية أثناء عملياته النشطة .. فلو استطعنا إستقطاب هذه الموجات وقمنا بتحليلها .. لأدركنا عن نوع هذا النشاط .. فربما يكون حلماً .. أو تخيلاً لشيء ما .. أو فكراً .. كما يمكننا أيضا بث موجات مناظرة نجبر بها المخ للقيام بنشاط معين .. يؤثر به على الخلايا المطلوبة أو الأجسام الغريبة لقبولها .. كل ذلك ما يسمي بمخاطبة العقل .. هذا ما قصدته فعلاً ، وأعلنه صديقي برنارد .

ثم دوى تصفيق حاد بالقاعة إستمر لفترة طويلة .. مما جعل إيناس تهم بالقيام إليه لتقبله .. ولكنها لم تكمل ما جال بفكرها .. فصفقت بحرارة كأنها في حفل غنائي ينقصه الزغاريد .

ثم استكمل الدكتور سميث حديثه محذراً :

ــ ويجب أن نكون على حذر .. فقد يتعود الجسم البشرى ، بعد الجراحة على أي جسم غريب مثل الفيروسات والجراثيم والطفيليات ، ويتعامل معها دون الإحساس بخطورتها ، وهنا تنعدم الفائدة للجهاز المناعي وينتهي المريض .

ثم تكلم الدكتور سامي ، وابتسامة الأمل ترتسم على وجهه :

— أيها السادة الأعزاء .. أنا لم أفقد الأمل نهائياً .. فالكمبيوتر لـــه ذكاء إصطناعي متطور .. وقد أجريت عليه تجربة من قبل وهو فـــي بداية وجوده عندي واستخدمته فعلاً في مخاطبة العقل ، وكانت التجربة ناجحة .. والشخصية التي أجريت التجربة عليها موجودة أمامكم ..

ثم إتجه نحو هشام قائلاً :

— ما رأيك يا هشام ؟

فقال هشام :

— يا لها من تجربة كاد شعري أن يشيب وأتيـــه فـــي عـــالم مـــن العصور الحجرية .

واستكمل د. سامي حديثه قائلاً :

— ولكنى لم أدرس إلى الآن الآثار الجانبية للتجربة .. ومـــا علينـــا إلا أن نصبر حتى المؤتمر القادم .. أما الآن إذا كانت هناك بحوثاً لـــم تقدم .. أرجو الإسراع بها ، فما أحوجنا جميعاً للراحة .

ثم دوى بالقاعة تصفيق حـــاد ، ليعلـــن عـــن انتـــهاء المؤتمـــر ، والبحوث المقدمة فيه بتوصياتها الدسمة ، وكانت الساعة تشـــير إلـــى الحادية عشر والنصف من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من يناير عام ١٩٩٧ ، وبالرغم من برودة الجو الشديدة ، والسحب المطـــيرة التـــي تسيطر على سماء القاهرة ، إلا أن العرق كان يتدفق من وجه الدكتـــور سامي الشاحب بغزارة ، والمناديل الورقية المســـتعملة ، تتكـــدس مـــن حوله كأنه غارق فيها ، كما شعر بثقل زراعة الأيسر ، مع زيـــادة آلام كتفه .. فزاد وهمه ، وحينما هم ليغادر القاعة الفخمـــة ، ســـقط علـــى

كرسيه في شبه غيبوبة من شدة هذه الآلام ، فإرتبك الحضـــور وســاد الذعر والخوف بينهم ، وخاصة الدكتور هشام مساعده الأول ، صـلحب السحنة الشمعية والأنف المعقوف ، والشفتان الصغيرتان وهما يرتفعـان من جهة اليسار قليلاً ، فهو كلبه الوفي .. أو يمكن أن نوصفه بمنافقـه الأول الوفي .. وكذلك عشيقته المتطفلة على ماله نظـير بعضـاً مـن الهدايا الثمينة ، كعادة أهل القمة الغير راغبين في الزواج .. أو الغـير راغبين في الإرتباط بقيود تمنعهم من التفرد لبحوثهم أو تطلعاتهم .

لقد قرر الجميع بعد فحصه ظاهرياً ــ وهذا لا يكفـي ــ الإنتقـال سريعاً إلى المستشفى لإستكمال الفحص والتشخيص بواسطة الأجـهزة ولكن الدكتور سامي كان له رأى آخر .. لقد قرر أن يفحصه الكمبيوتـو أولاً .. و هى فرصة لأن يتعرف وفود المؤتمر على إبتكاره العجيـب ــ وإذا إزداد الأمر سوءاً ــ فلا مانع إذن من الذهاب إلى المستشفى ..

وانتقل بسيارته الفارهة إلى قصره المنيف .. ودخل المكتبة مسـتنداً بإحدى ذراعيه على كتف ايناس .. ثم جلس على كرسيه الضخم الهزاز وشرع في وضع الطاقية الإلكترونية على رأسه ثم شد أطراف الأسلاك الكهربية المتدلاه منها ليعشقها في أماكن خاصة بـالكمبيوتر .. وشـغل الجهاز ، فأضيئت شاشته .. ومع الإضاءة إنتُزع الدكتور سـامي مـن يقظته ليسرح في غيبوبة تامة .. وكأنه تحت تـأثير مخـدر قـوى .. وأطباء المؤتمر من حوله .. يطالعون الأعجوبة الإبتكارية التي صممها د. سامي ونفذ صناعتها باليابان .. وبدأوا مشاهدة مـا يسـرح بـه د. سامي بالصوت والصورة .. ويقرأون علـى جـانب الشاشـة بيانـات الفحص والتشخيص .. وفجأة أومأ د. سامي ، فأشـار بإصبعـه .. أن يذهب إلى المستشفى .

وتمر اللحظات الصعبة ، فالجمع إتفق على نوع المــــرض بينمـــا إختلفوا في طرق العلاج ، ولذا كان رأي سامي هو النافذ فرحل لتـــوه بسيارته السوداء الفارهة إلى مستشفاه التي تحمل إســـمه ومـــن خلفـــه بعض السيارات الأخرى التي إستأجرها لتحمل فريقه معه في موكــــب جليل ، حيث أجرى في مستشفاه هذه أحرج العمليات الجراحية ، وكتب لغالبيتها النجاح ، ثم أخذ يتنقل بين أجهزتها الطبية ذات التقنية العاليــة ، لتتقصى مصادر آلامه ، فهذه تأخذ الصور الإشعاعية ، وأخرى ترســـم الخطوط البيانية المتموجة الإلكترونية لقلبه ومخـــه ، والعـــاملون مـــن الأطباء والممرضات يؤدون عملهم على أتم وجـــه دون خطـــأ يذكـــر والحزن يكسى وجوههم ، بينما يتابع فحصه على التوالـــي كـــل مـــن برنارد وسميث وإيفرتون وشميدت ، فجاء قرارهم موحدا .. حيث قـــال برنارد حرفيا :

ـــ قلب د. سامي متليفا ويحتاج إلى تغيير .. وسرعة التليف تـــزداد يوما بعد يوم .. وهناك خطورة تتزايد مع مرور الوقت .

أما بيار مارلون الفرنسي الذي لم يعتمد كليـــة علـــى الأشـــعة أو الرسوم البيانية هو و يوكاوا هيتو اليابـــاني ، فكـــان لـــهما رأى آخـــر مختلف يعتمد على النظرية الفرنسية في التشخيص .. فقال بيار :

ـــ أن هناك ترسيب زجاجي بمكان ما بالمخ يؤثر على الأعصــــاب الناقلة للكمات الكهربية إلى عضلات القلب فيضعفها ، ويحتـــوى هـــذا الترسيب على كمية هائلة من الشحنات الكهربيـــــة ، أثـــرت بأســـلوب عكسي على عضلة القلب .. ولن يجدي تغيير القلب بآخر مهما كـــانت كفاءته ، طالما كان المؤثر الكهربي ، لا زال موجود بالمخ .

إستخدم الدكتور بيار جهازا صغيرا كساعة اليـــد ، شـــرح فكـــرة عملها أثناء جلسات المؤتمر ، وتعمل كعداد كهربي ، وهى من إبتكـــاره بمساعدة مجموعة من المهندسين الفرنسيين ..

وضع الدكتور بيار هذا الجهاز نحو قلب د. سامي ، وتتبع ثـــلاث مسارات على جسده ، ثم توقف عند أسفل المخ بمكان ما خلف الـــرأس ثم أخذ يطالع قراءات رقمية ، ويسمع صفيرا زادت حدته بهذا المكان ، ولهذا إتخذ قراره الجريء المؤيد من د. يوكاوا .. وقد حـــرره كتابـــة بخط يده ، مقترحا علاجا غريبا من نوعه ، يعمل علـــى إذابـــة هـــذا التجمع الزجاجي ، وامتصاص الشحنة منه .. ولكنه غير آمـــن الآن ، حيث لم تجرى التجارب عليه بعد .. ثم قال بيار الفرنسي :

ــ أنا أفضل إستبدال المخ .. وعمل كشط وتنظيف للجمجمـــة مـــن هذا التجمع الزجاجي .

فقال سميث :

ــ لكن هذا مستحيل لأن العصب الواحد يحتـــوى علـــى ملاييـــن الشعيرات العصبية .. ولا يمكن إحصائها أثناء الجراحة .

فقال بيار مؤكدا إقتراحه :

ــ الكمبيوتر المتطور هذا يمكنه إحصاء هذا الكم من الشـــعيرات .. ولا أشعر بإستحالة الجراحة .

ومحذرا قال سميث :

ــ أنا لا أضمن هذا النوع من الجراحة .. يمكن أن نكتفي بالكشـــط والتنظيف .

وكثرت الآراء .. وزاد وهم سامي فالحالة لا تحتاج إلى قلب فقـط وإنما إلى مخ أيضا .. والجميع يائس ، فطبيبهم مريض بـالداء الـذي يعالجه ، ولا يأمن لأحد غيره بإجراء تلـك الجراحـات ، والآن هـو طريح الفراش يتنقل بين أجهزة مستشفاه من وقت لآخر منتظر قـرار الأطباء .

مستشفى الدكتور سامي ، عبارة عن فيلا صغيرة بحديقة متوسـطة ولكنها تحفة معمارية بأحد الأحياء الراقية .. كما أنـها تتمتـع بشـهرة عالمية .. لست أدرى ؟ .. هل لسـمعة الدكتـور سـامي الطبيـة .. ومهارته في إستعمال الأجهزة ذات التقنيـة الحديثـة فـي جراحاتـه الناجحة ؟ .. أم للإتفاقات الجانبية المشبوهة والمشوبة بـالحذر ، التـي يجريها الدكتور هشام مع بعض وفود هذا المؤتمر أو غيرهم ! .

كانت ايناس تستمع إلى آراء الأطباء — فهي تفـهم الإنجليزيـة جيدا — لتتصارع الأفكار الشيطانية في داخلها .. فتسائل نفسها همسـا وهى تمسح بكفها الناعم النحيل على رأسه .. لماذا لم تتزوجـه ؟ .. أو تؤثر عليه بطريقة ما فيؤمن علي حياته بمبلغ كبير ثم تصرفه هي عنـد موته بعد أن تكـون أرملتـه ؟.. لمـاذا هـي بكـل هـذه السـذاجة والإستهتار؟.. تكتفي بالهدايا والسهرات الرخيصة ، بينما تقدم لفريسـتها أغلي ما عندها ؟.. لماذا تركت فرصة كهذه كافيـة أن تجعلـها مـن الأثرياء ، ثم بعد ثرائها وترملها تبحث عن شاب يـائس يخضـع لـها فتتزوجه وتكون أسرة تتحكم هي فيها إن أرادت ؟.

الدكتور هشام مصطفى المساعد الأول للدكتور سامي تلميذ نجيـب دائما ترتسم علي وجهه علامات الحيرة والقلق والخوف ، ويظهر ذلـك علي كل تصرف يأتي به ، وبفطرته البحتة أدرك نوايا إينـاس ، وأدرك أيضا أهمية الدكتور سامي عنده ، وأهمية مستشفاه ، وقد ظـهر ذلـك حينما ناداه الدكتور سامي ، وهو بين أعضاء الوفـود يجـرى بعـض

الأحاديث الجانبية المشبوهة ، فجرى نحوه واللهفة المشـوبة بـالخوف تسبقه ، خشية أن يلحظ سامي شيئاً ، وها هو يقف خاشعاً أمامه يسـتمع إلى أوامره التي كانت تخرج بصوت متحشرج عند قوله :

ـ أطلب من إدارة الفندق تجهيز الفواتير .. واهتم بتيسـير سـفر الوفود .. واطلبني بالمنزل عندما تقابلك أية مشاكل ..

ثم تذكر شيئاً ما فقال و هو شارد بفكره و الوهـم يسـيطر عليـه تماماً :

ـ كدت أن أنسى .. ضع بحث الدكتـور بيـار فـي حقيبتـي .. سأدرسه بعناية عندما أصل إلى المنزل ، وسأخبرك بما يجد من أفكـار وترتيبات .. قم بإلغاء كل العمليات وحجوزات الفحص الخاصـة بـي لأجل غير مسمى .. كن قريباً من التليفون .. ولا تغادر المستشفى .

فقال هشام بعد أن إطمأن لحديث سامي :

ـ إهتم بنفسك .. وكل شئ سيكون علي ما يرام ..

إنصرف جميع الأطباء الوفود من المستشفى إلى الفندق ، فمنـهم من سيلحق بطائرته إلى بلاده ، ومنهم من سيمكث بعض الأيام للسياحة والتعرف علي آثارنا ، وقلة ستمكث قليلاً حتى يستكمل هشام صفقاتـه بتجهيز الأعضاء المطلوبة .

غادر الدكتور سامي أيضاً مستشفاه وإيناس ترافقه إلـي قصـره ، تاركاً أطباء المستشفي المناوبين والممرضات ، في حديث غير منقطـع عنه وعن أعماله الخيرية وجراحاته المجانية للفقراء ، وعـن إينـاس المدللة التي لا تفارقه ، وعن هشام كلبه الوفي بغلاسـته فـي شـخطه ونطره وسلوكه الذي يخالف القسم عندما تخرج من كلية الطب .

كانت السيارة المرسيدس الفخمة السوداء ، تجوب شوارع القاهرة وميادينها ، وإيناس إلى جواره على الكنبة الخلفية تمسح برأسه ، وتذكره ببعض المواقف الضاحكة أثناء جلسات المؤتمر ، حيث كان شخيره مدوياً ، عندما تتدلى رأسه علي صدره ، وهو يغط في نوم عميق ، أو عندما يقرأ هشام بحوثه علي الوفود ، وبدلال كانت تعاتبه علي نظراته الزائغة علي بعض الحاضرات من الطبيبات الشابات ، وكان يرد عليها مرة متناسياً غير مهتماً بهن ، ومرة مادحاً جمالها الفريد ، أو صامتاً غير مهتم بحديثها هي ، ومرات كثيرة كان يشرد فيها لإستيعاب حالته .

إخترقت السيارة مسارها الخاص داخل الحديقة الواسعة ، ذات النباتات النادرة ، والزهور الخلابة ، والأشجار المثمرة ، والشجيرات المنسقة ، ويتوسطها براجولا ، تلك الغرفة الخشبية الأنيقة بزجاجها الملون والمعشق ، مكانه المفضل لتناول الفطور ، ولقضاء بها معظم الوقت من النهار وبعضاً من الليل صيفاً أو شتاءً ، ثم صعدت السيارة منحنى دائرياً لتقف أمام المدخل الرئيسي للقصر ، وعثمان كبير الخدم ارتسمت على وجهه إبتسامة عريضة حينما رأى الدكتور سامي فقال وهو يفتح باب السيارة :

ــ حمداً لله علي السلامة يا سعادة البيه .

ــ الله يسلمك يا راجل يا بكاش .. فاكرني هاموت واللا إيه ؟..

وناولت إيناس الحقيبة لعثمان ، ليضعها بالمكتب الكبير بالطابق الأرضي ، بينما صعد الدكتور سامي الدرج الداخلي ، قاصداً غرفة نومه ذات الشرفة الكبيرة المطلة علي الحديقة ، وإيناس تساعده علي خلع ملابسه ، وتقبله في جبينه من حين لآخر ، وهو غير مكترث لما تفعل ، فقالت إيناس بدلال :

ـــ أنت النهارده يا سمسم مش في المود .

فرشقها نظرة تعبر عن جهلها بأشياء كثيرة ، ثم لبس رداء النــوم ، واستلقى علي سريرة ، وهى إلى جواره تداعب شعره ، بينما كان النــوم يداعب جفونه ، فتتشاءم إيناس وتقول في سرها :

ـــ آه .. شكلها كده مش ها يعدى علي خير .

فهذا نذير سيئ لا يبشر بخير ، كما يظنه أمثالها من الســـاقطات .. ثم ذهبت إلى الغرفة المجاورة لتضع الخطط الكفيلة بإخراجها من هـــذا المنجم ومعها كل الذهب ، أي لابـــد وأن تتزوجـــه ، قبـــل أن يفـــارق الدكتور سامي الحياة .

عثمان وبقية الخدم وبستاني الحديقة والبواب .. تعودوا أن يعملـــوا في صمت.. فلا يسألوا.. ولا يستفسروا.. ولا تعليق لهم قط .. كمـــا لا تحتوى لغتهم إلا على كلمة (حاضر) فقط .. ثم ينفذون ما يؤمرون به حرفياً .. المسألة أكل عيش وبغددة ونعمة يخشـــون زوالـــها .. أو قـــد يكون الدكتور سامي أخضعهم لجهازه العجيب .

كانت أشعة الشمس صباح اليوم التالي تعلن سطوتها على ضبابـــه وشبورته ، والحركة الدائبة داخل القصر وخارجه بالحديقة في أوجــها ، كما أن الحديث عن البيه وحالته الصحية ، لا تنقطع ، فالقلب وأمراضه أمور لا يستهان بها ، فأي تقاعس فيها ينذر بـــالموت ، وإن حــدث لا قدر الله مكروهاً له ، ما مصير هؤلاء الخدم مـــن بعـــده ؟ .. ولذلـــك تعالت دعواتهم له بالشفاء ، ونجدته من ايناس وجميع أمراض القلـــب ، والمتربصين به .

الفصل الثالث

إستيقظ الدكتور سامي من نومه في الرابعة من عصر ذلك اليوم ، وفى إثره إيناس وكأنها على موعد دائم مع يقظته ، فنزلا إلى مكانه الدائم بوسط الحديقة ، لتناول بعض المأكولات الخفيفة وشرب الشاي ، والإستماع إلى الموسيقى الهادئة .. وسماعه إلى الموسيقى معناه أن الحالة المزاجية ليست على ما يرام .. ولابد أن ينفرد بنفسه .. أما عن إيناس فهي من مكملات الترفيه لديه عندما يكون المزاج عالي .. وما حدث ليلة البارحة جد خطير .. لذا فتلك الساعة للقرارات الصعبة .. وإيناس ليس لها لزوم الآن .. فطلب منها الانصراف .. وسيطلبها في وقت لاحق ، بعد أن يفرغ من وضع قراراته .. وعند هذه اللحظة بادرته بصوتها الناعم محذره وكأنها لا تريد فراقه :

ـــ لا .. شغل إيه ؟ .. صحتك عندنا أهم ..

فقطب جبينه وقال بلهجة حادة :

ـــ أول مرة أسمع فيها حد يعارضني .. أنا أدرى الناس بصحتي .

شعرت إيناس أنها صنعت جرماً .. وبنعومة أكثر حاولت إصلاح موقفها قائلة :

ـــ أنا ما قصدتش حاجه تزعلك .. أنا خايفه عليك بس .. عموماً أنا ماشيه حالاً .

مدهش جداً أن يتمتع هذا النوع من النساء ببقايا من الكرامة ، ولذلك إنتفضت من جواره وسحبت حقيبتها التي لم تثرى هذا اليوم أو ليلة البارحة بأي من الهدايا .. نظراً لإنشغال سامي بحالته ، ونومه المفاجئ .

ثم نادت عثمان الذي يتمنى غوارها كي يعد لها السيارة ، وسـامي ابن الباشا غير مكترث .. فأبوه كان باشا وطبيباً لأحد ملوك مصـر ، وما هي إلا لحظات مضت حتى غادرت القصر ، والشمس تغرق فـي الأفق البعيد ، ملوحة بأشعتها القرمزية وهى تضرب السـحابة القاتمـة التي تغطى صفحة السماء العريضة ، لتلقى برذاذها المطير .

ومكث سامي بعدها لفترة قصيرة ومعه عثمان .. ثم سأله :

ـ ممكن يا عثمان حد يبيع قلبه ؟

فقال عثمان بإجابة حاضرة :

ـ ويعيش بإيه يا سعادة البيه ؟ .. الإنسان يبيـع عيـن ، وتكفيـه واحدة .. يبيع كليه ماشى .. فشه لا مؤاخذة جايز .. شوية دم يسـتغن عنهم ما فيش مانع .. إنما قلب ما أظنش .. المسألة حياة أو موت .

فقال سامي مغرياً :

ـ طيب ما ها ياخد فلوس كتير ..

فقال عثمان مستغنياً :

ـ الفلوس مش ها تخش معاه التربة .. ثم إن ده حرام .. زيـها زي الإنتحار.. كمان هو ها يبيع حاجة مش بتاعته ؟.

فقال سامي مستفسراً :

ـ إزاى مش بتاعته ؟ .. مش موجودة جوه جسمه ؟

وموضحاً قال عثمان :

ـــ أيوه يا سعادة البيه ما قلناش حاجة .. وأنت ســـيد العـــارفين .. الحاجة اللي ها يبيعها دى ، ربنا خلقها له علشان يســتفيد بيـــها هـــو.. وخلق لغيره زيها تمام .. من غير ما يتحكم فيها الإنسان ..

واستمر سامي يسأل بمادية بحتة :

ـــ إفرض يا عثمان إن عندك أرض .. وعايز تبيعها .. إيـــه هـــي المشكلة مش دى زي دى ؟.

فقال عثمان بدون يأس وكأنه معلما :

ـــ الأرض حاجة .. والحاجات اللي جـــوه الجســم حاجــة تانيــة خالص.. الأرض كل الناس بتستفيد منـــها .. علشـــان كـــده .. فـــلان يشتريها مرة بعدين يبيعها لعلان .. ما فيش مشكلة .. في الآخر ترجـــع للي خلقها .. إنما أعضاء الجسم دى صناعة خاصة.. وبتموت بمـــوت الإنسان وبياكلها الدود في التربة .

وبيأس قال سامي :

ـــ أنت أقفلتها خالص يا عثمان .. روح إفتح المكتبة .

فغادر الدكتور سامي البراجولا ، قاصدا المكتبـــة ذات الكمبيوتـــر العجيب ، فالقرارات التي سيتخذها لا تحتمل التـــأجيل أو التســـويف أو الإتكال على أحد .

الكمبيوتر جهاز عصري حـــديث ، يعمل على تخزيـــن البيانـــات والمعادلات ، ليتعامل معها الإنسان بأسلوب متطـــور لتوفـــير الجـــهد والوقت ، والأنواع المتطورة منه لها ذكاء متخصص ، يمكن أن يوكـــل إليه بعض الأعمال ، التي لا يستطيع الإنسان أن يلم بها دفعة واحـــدة أو يحصيها ، فتراه في المصانع لتركيب السيارات أو لـــتركيب الأجـــهزة

الإلكترونية الدقيقة .

أما الأنواع الراقية جدا كما في حال الكمبيوتر الخـاص بـالدكتور سامي ، فهو يعتبر من الأجهزة النادرة ، حيث لا يزيد عدده في العـالم علي أصابع اليد الواحدة ، كما أن له ذكاء إصطناعي متطور وذاتـي ، أي له القدرة علي التفكير الحر من خلال المعلومات المختزنة فيـه ، و له القدرة علي التعامل مع فكر صاحبه أو المشتغل به ، فـتراه ينتقـي المعلومة ويصححها ، من خلال لوحة المفاتيح أو الفأرة ، أو من خـلال أجهزة إدخال معدنية فضفاضة غريبة الشكل ، مثل غطـاء الـرأس ، ويعمل علي إلتقاط الموجات الكهرومغناطيسية الخارجة من مخ الإنسان أثناء التفاعلات نتيجة التفكير أو الأحلام ، ثم يحللها ، ويحولـها إلـي صوت وصورة ، يمكن رؤيتها بواسطة شاشته التليفزيونية الكبيرة .

كما أن له القدرة على تخزين هـذا الصـوت وهـذه الصـورة ، لإسترجاعها وقت الحاجة أو لبث الموجات إلى عقل الإنسان ، وقد قـام الدكتور سامي بتخزين جميع المعلومات الطبيـة المختلفـة الموجـودة بالمراجع العلمية المتخصصة ، والدوريات ، والبحوث المنتشـرة فـي جميع أنحاء العالم ..

لقد تكلف هذا الجهاز العجيب ما يربو على المليار من الـدولارات كما تخصص له مهندسا ، تدرب في اليابان وتفوق على مدربيه هنـاك ، هو المهندس محمود شكري ، ويعمل لحساب الدكتور سامي من أجـل الأبحاث اللازمة لتطوير هذا الكمبيوتر فقط ، و له أزرعـة ميكانيكيـة مجهزة يستطيع أن يقوم الكمبيوتر بمساعدتها إجراء الجراحات الطبيـة الحرجة والدقيقة ، ولكن ينقصه جهاز الليزر الجراحي ، ولذلـك كـان تزويد هذه الأزرعة بجهاز الليزر أولى القرارات الهامة التي أعطاهـا د. سامي أولوية التنفيذ .

الكمبيوتر يأخذ ركنا مجاورا لمكتب الدكتور سامي داخل المكتبة الواسعة ، التي تؤم أمهات الكتب والمراجع النفيسة في الطب وبعض النواحي العلمية الأخرى ، كالفيزياء والكيمياء ، ونادرا ما تجد كتابا في الأدب أو العلوم الإنسانية الأخرى .. وإلى جوار المكتبة يوجد الكرسي الضخم الهزاز المبطن بريش النعام ، وكأنه لبنيامين فرانكلين ، أو للويس التاسع .

جلس الدكتور سامي على كرسيه الضخم ، واستخرج من حقيبته بحث الدكتور بيار وتقارير أصدقائه المقربين اللذين حضروا المؤتمر ، وفحصوه جيدا وهو بالمستشفى .. ثم أخذ يطالع التقارير الخاصة بقلبه أولا ، وهو ممتعض ويائس .

وعندما تصفح تقرير بيار توقف عند بعض ملاحظاته ، وهو يبدي إعجابا غير منقطع النظير، وقد شعر من خلال قراءاته لهذا التقرير بنبوغ هذا الشاب وبراعته وجرأته وتمتعه بعلم واسع ، وأحس بأن ما قاله وكتبه في تقريره يمثل نهجا واقعيا جديدا للفحص ، وكأنه ثورة في عالم جراحة القلب المفتوح ، وعلى الفور إتصل بالدكتور هشام ، والمهندس محمود .

وصل هشام ومحمود كل على حده ، والظلمة بسكونها الموحش تعم المكان ، ونقيق الضفادع ونباح الكلاب الضالة تقطع سكون الليل ، بينما صوت الكروان يسترسل من الأفق البعيد ، معلنا إنعزال المكان ، وعزلة صاحبه عن أهم متع الحياة ، لينغمس في دلال ثرائه وطاعة خدمه ومساعديه ، وتليفونات ايناس التي لم تنقطع ، لكي تطمئن على شئ ما عنده ، وإصلاح ما أفسدته بالأمس ، وكأنها تضرب عصفورين بحجر واحد .

وبعد التحيات والسؤال عن الحالة الصحية ، قال محمود :

ـ لا.. أنت صحتك زي البمب .. المفروض نشوف لـك عروسـة منْ بناتِ العشرين .. مش كده يا دكتور هشام ؟

وقال هشام بشيء من النفاق :

ـ قوله يا سيدي .. مش عايز يسمع كلامي ..

وبإستهزاء فكاهي قال الدكتور سامي :

ـ سبوكم من البكش ده .. إستكفوا أنتم بزوجاتكم .. واتركوني فـي حالي .. ما فيش مفر .. السهرة الليلة للصبح .

لم تكن السهرة كما هو معهود عنها للفرفشة ، ولكنها اليوم للعمـل المضني الذي لا يعرف كللا أو تقاعس أو تكاسل .. إن السهرة اليـوم لها مذاق خاص .. سيسهر الجميع ، أولا لتخزين بحث الدكتـور بيـار في الذاكرة المتطورة للكمبيوتر ، ثانيا فحص الدكتـور سـامي نفسـه بواسطة ذلك الكمبيوتر واستطلاع ذاكرته ، للتأكد مـن صحـة ودقـة التقارير المكتوبة عنه ..

وانهمك الجميع في العمل ، وعثمان من وقت لآخر يدخل بعربـة صغيرة عليها ما لذ وطاب من أنواع الساندويتشات والمشروبات الباردة والساخنة ، والأنواع الراقية من الخمور ، والصمت يعم المكتبة ، فـلا تسمع إلا نقر أصابع محمود على لوحة المفاتيح الخاصة بـالكمبيوتر ، وطقطقة الأسنان وهى تمضـغ الطعـام ، والشـفايف وهـى ترشـف المشروبات .

ويقطع هذا السكون خلال العمل الدؤوب ، أسئلة الدكتـور سـامي لهشام عن سفر الوفود ، وعن حال المستشـفى ، وعـن المطبوعـات البحثية للمؤتمر ، وعن فواتير الفندق ، وطريقة سـدادها ، ويجيبـه د.

هشام بأمانة تامة ، ثم طرأت فكرة جهنمية للدكتور سامي سرعان مـــا طرحها على المهندس محمود فقال :

ــ هل من الممكن شراء وحدة كمبيوتر أخرى أستطيع حملها إلـــى أي مكان وتتصل بالوحدة الرئيسية هنا عن طريـــق التليفـــون مثـــلا ، بشرط أن تكون مشفرة ومضمونة السرية ؟.. كما أريد تركيب جـــهاز الليزر للأزرعة الميكانيكية حتى تؤهل الكمبيوتـــر لعمـــل الجراحـــات الطبية بنفسه دون الإستعانة ببشر .

رحب محمود بالفكرة ، وقال مندهشا :

ــ نعم .. ولكنها مكلفة .. ويلزمها رحلة إلى اليابان ..

وهنا قاطعه د. سامي :

ــ وفيما الإنتظار .. خذ ما يلزمك من المال .. على أن تسافر بعـــد الغد .. وهات معك أفضل خبراء الشركة وفنييها لإجراء اللازم .

وبخبث فكاهي تجاذب الحديـــث مـــع هشـــام ليختـــبر إخلاصـــه وصراحته ــ مقارنة بعثمان ــ عندئذ قال سامي :

ــ سأعقد معك صفقة يا هشام .. إيه رأيك تسافر كـــل دول العـــالم على حسابي ، ومعاك مليون جنيه ، نظير قلبك ، وأركب لك كمان قلب صناعي ؟.. أما من جهة المخ .. فأنا كفيل به من حد تانى ..

فإرتبك هشام وشرد للحظة يفكر في الإجابـــة وأشـــياء أخـــرى ، فسامي لا يعرف الهزل .. بينما محمود رجع إلى الخلف كمن يخشـــى شيئا .. فبالرغم من أن السؤال يبدو في ظاهره المزاح .. إنما الخـــوف من باطنه فالمرض وحب الذات ، هما جناحي الشيطان .

د. سامي رجل عملي لا يعرف مستحيلا ، يخدمه في ذلــك مالــه وأفكاره وجرأته التي ليس لها حدود ، ويسعد كثيرا حينما يجد أفكــاره تتحقق ، فيغدق المال ببذخ ، حتى لا يعوقه عائق يؤثر علــى طموحــه الغير متناه ، وهذا نتيجة حبه للعلــم وشــغفه لإكتشــاف المجــهول ، كالمغامرين الأوائل حينما إكتشفوا القارات .

إستمر العمل حتى مطلع الفجر ، والقلق والخــوف يتملــك هشــام ومحمود .. ثم تجهزوا لتجربة الكمبيوتر الثانية ، ولن تكون أقل دهشــة من الأولى ، بل يمكن أن تفوقها ، وربما أيضا تأتى بجديد لا يعلمه أيــا منهم ، أو ربما تكشف عن نوايا في طي الكتمان .

طلب سامي من محمود إعادة تشغيل شــريط التســجيل الخــاص بالتجربة الأولى وبسخرية قال :

ـــ شوف لنا يا محمود .. هشام أكلته القبائل الهمجية ولا لأ ..

وعلى الفور شغل محمود شريط التسجيل ، والجميــع فــي حالــة ضحك هستيرية ، كاد بسببها محمود أن يقع على الأرض .

كانت التجربة الأولى ، منذ بداية عهد الدكتــور ســامي بجــهازه العجيب ، حينما وضع منوما للدكتور هشام دون أن يدرى ، ثم غـــرق هشام في نومه وأحلامه المتطرفة .. ثم إرتدى الدكتور ســامي إحــدى الطاقيتين الإلكترونية ، وألبس هشام الأخرى ، وبدأ يغوص هو الآخـــر في أحلام هشام ، فكان يراها سامي وهو يقظ ، كما لو كان يشاهد فيلمــا سينمائيا ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ولكن د. سامي إبتكر حـــوارا دراميا ، سرعان ما بثه داخل عقل هشام ، فتخيل هشام مرتديـــا زيــا جلديا من العصور الحجرية ، وقام بمغازلة شــابة ذات وجــه مشــين وكأنها من سلالة القردة ، وأهلها يطاردونه من أجـــل القبــض عليــه

ليأكلوه ، فأخذ هشام يهزي ويهمهم بصوت مسموع وهو نائم ، ويرفس بقدميه ويديه ، وصدره ينتفخ وينبسط بشهيق وزفير متلاحق ، أدرك بعده د. سامي أن هشام في كابوس صناعي .

وبعد فترة من إحداث التجربة ، فكر سامي أن يهدئ من روع هشام ، فتخيله وهو في ليلة عرسه ، وبث هذا الحلم إلي عقله ، فإنبسط هشام ، وراحت عنه عصبيته وعنفوانه ، عندها أدرك د. سامي أن الكابوس قد زال أثره ، وقد سجلت هذه الأحلام و الكوابيس بواسطة الفيديو الملحق بالكمبيوتر ، حتى يمكن رؤيتها كدليل على نجاح التجربة .

ولما إستيقظ هشام من نومه طلب منه أن يقص أحلامه ، فرواها كما جاءت بشريط التسجيل ، ثم ضج الجميع بالضحك ، بينما إستمر هذا الكابوس يراود هشام لعدة مرات من النوم .. وفي ليال أخر غير ليلة التجربة ، كما تأثرت ذاكرة هشام ببعض الشحنات الزائدة أثرت على مركز الخبرات بالمخ .. فمحت جزء منها وغيرت من سلوكه .

الكل يعمل في جو ملئ بالخوف والتوتر .. فمثلا سامي يخشى نتائج التجربة الثانية .. وهشام يخشى أن يسيطر عليه سامي بجهازه العجيب ويستولي على قلبه .. بينما محمود أدرك نية سامي في نزع مخه ..

شعر سامي بكل ذلك فأراد أن يكسر حدة هذا الخوف .. فإقترح أن يجرب جهازه العجيب في السيطرة تليفونيا على عقل المسؤول بأحد المطاعم الفخمة عن إرسال المأكولات (ديليفرى) إلى المنازل .. وإيهامه بأن الفاتورة مدفوعة مقدما .. وبعد قليل وصل الطعام وزجاجات الخمور ، والفاتورة مدفوعة مقدما وعليها وافر الشكر لحجم البقشيش .. فإنهال الجميع عليها وهم غرقى في الضحك ، ولكن

الضحك المشوب بالحذر من أفكار سامي .

والآن حان موعد التجربة الثانية ، إنها فحص مخ وقلب الدكتــــور سامي ، وقياس نسبة الوهم المتراكمة داخل مركز تجمع الخبرات بـالمخ عنده ، فجلس كالطفل أمام جهازه العجيب متمنيا أن تفشل تقارير أمـــهر الأطباء الذين فحصوه من قبل .

وارتدى سامي إحدى الطاقيتين ، ثم إرتدى د. هشـــام الأخـــرى ، لكي ينبه المراكز الحسية بمخ سامي عندما يطلع على قطاعـــات المـــخ المختلفة من خلال إرتدائه الطاقية ، بينما يقوم المهندس محمود بمداعبة لوحة المفاتيح الإلكترونية الخاصة بـــالكمبيوتر ، لتسـجيل القــراءات والرسومات البيانية المتموجة لتأثير هذا التجمــع الزجــاجي وكهربتــه الزائدة ، وسارت الأمور بشكل طبيعي ، والكل يطالع الرسومات ويقـرأ البيانات ..

وفي لحظة معينة والجميع يتملكهم التوتر والخـــوف .. ومحمـــود مستمر في مداعبة المفاتيح الإلكترونية ، إهتز جسد د. ســـامي بعنــف وكأنه صدم بصعق كهربي ، وصدرت منه صرخة متحشـــرجة كأنـــها شخير مبحوح ، ووقف شعر رأسه في شعث ، وانحنى عموده الفقـــري فروع الجميع لمنظره ، وتوقفوا عن العمل ، وخلع محمود الطاقية مـــن رأس سامي ، كما خلع هشام طاقيته ، ولم يستطع أحدا منهم أن يـــدرك شيئا ، للهفته على د. سامي فأسندا ظهره على كرسيه الضخم ، وأنفاسه تتلاحق بصوت البحيح ، ثم بدأ الشك يدب في نفس كـــل منـــهما نحـــو الآخر .. من الذي بدأ أولا بما فكر فيه ؟.. لأن بدايته قد تفســـد عمـــل الآخر .

كل منهما ألقى بالتهمة على الآخر ، فظن محمود .. أو قد تظـــاهر بظنه .. أن د. هشام تخيل وحشا أسطوريا كالرجل الأخضـــر مثـــلا ،

فإنتقل هذا الخيال إلي العقل الظاهر للدكتور سامي ، بينما ظن د. هشام أن محمود صنع خطئا ما بقصد أو بدون قصد ، إزدادت على أثره كمية الإلكترونات داخل مخ سامي ، وصنعت به ما شوهد عليه .

واحتدت المناقشة بينهما ، وعلا صوتهما ، وكليهما يريد إثبات ظنه في الآخر ، بينما يتماثل د. سامي للهدوء والعودة إلي طبيعته الأولى ، والإرهاق باد عليه ، وهو ملقى برأسه على صدره ، وعلموده الفقري يبدأ في الإستواء .

وبصوت أعياه عنف الزفير والشهيق ليتحول وجهه إلي شمعي السحنة ، قال د. سامي لمحمود :

ـ من فضلك أعد ما سجلته .. أريد معرفة الحقيقة .

ويا ليته ما طلب الحقيقة .. فقد تعلمنا في الصغر من مبادئ الديانات ، أن من أعظم ما جاءت به الحكمة .. هي أن تتواري حقيقة النفس البشرية خلف ستار الغيب ..

لقد شغل محمود شريط التسجيل ، وعرض ما طلبه د. سامي بذكاء ، بعد أن أخفى محمود أشياء ما كان لها أن تظهر في حينها ، حتى لا تكشف عن أسرار ربما تأتى بنتائج عكسية ..

والحقيقة هي أن محمود عمد على مد مخ سامي بكمية وافرة من الشحنة للسيطرة عليه ، وتطويع فكره لإرادته هو ، وبالتالي لا يستطيع سامي السيطرة على مخ محمود .. أما هشام فكل ما كان يدور بخلده ، أن يروع سامي بهيئة قبيحة المنظر ، إذا ما حاول أن يستولي على قلبه وحال الصعق دون ذلك .. وأصبح كل منهم معلوم بنيته .

ثم دار حديث هامس ومبهم بينهما .. فقال محمود :

ــ ممكن يكون القلب من عندك .. والمخ من عندي .. حلال اللــي حصل فيه..

فقال هشام متفقا مع محمود :

ــ هيهات أن يفعل .. يستاهل .

تأكد الدكتور سامي وصحبه الآن بصحة ما جاء بتقرير الدكتــور بيار الفرنسي الشاب النابغ ، بيد أن الطبقة الزجاجيــة فــي مراحلــها الأولى ، أي غضروفية التكوين ، وقد ازدادت الشحنات الإلكترونية بــها من كثرة تعرض الدكتور سامي لجهازه العجيب ، إلي حد وصل إلــي مراحل الإدمان ، مما جعله يبتكر جهازا نقال يعمل بالتوالف المتوافــق مع الجهاز الكبير ، ويستطيع حمله أينما ذهب أو غدا ، كما ظــن كــل من هشام ومحمود أن الدكتور سامي ينوى إجراء جراحة نقــل القلــب وقطعة المخ بنفسه ولكن من أين له بهاتين القطعتين الثمينتين ؟ .

كانت تباشير الإشراق تعلن بصبح جديد من بين الضباب الكثيـف ، حينما حرر الدكتور سامي شيكاته السخية للمهندس محمود الذي يتثاءب من سطو النوم على جفونه ، فيتجهز للسفر إلي اليابــان .. ثــم غــادر محمود القصر .

وإنفرد د. سامي بهشام ، الذي إنتفخت عيناه من السهر ، وتغـيرت نبرات صوته من الخوف ، وبصوت منكسر وجه سامي سؤالا لهشــام بيأس :

ــ كيف السبيل إذن لقلب .. وقطعة من المخ ؟

فقال هشام متمسكا بشباك الأمل وقد تبدد الخوف عنه :

ــ يجب ألا يهزمنا اليأس .. علينــا أن نتــابع حــالات الحــوادث

بالمستشفيات ، والباقي سهل .

ثم جال بخاطر هشام فكرة شيطانية ، تجارية النزعـــة ، فاســـتتبع حديثه قائلا :

ـــ أنا أعرف عامل بناء لا تحمل أسرته له أدنى ولاء .. و له مـــن الأبناء ستة..أربعة من الذكور، وإثنتين من الإناث .. يعملـــون جميعـــا بالتسول..وهم في إحتياج شديد للمال.. كما أنهم يتمنون زوال أبيهم .

ولم يستكمل هشام حديثه ، فالأفكار الشـــيطانية تتوالـــف وتتضـــج وهى تنمو في حقل الإحتياج والحرمان ، وساعد علـــى هـــذا التوالـــف إرتباطهما بالجهاز العجيب ، لذا قاطعه سامي قائلا :

ـــ لا تتردد في جلبه .. مهما كلفني ثمنه .

وتنفس هشام الصعداء ، وصعدا درج الطابق الثاني كل إلي غرفـــة نومه ، بعد أن إتصل هشام بزوجته للإعتذار ، والسعادة تغمره ، وقـــد إعتادت على مثل هذه الأمور ، وتقدر له مرضه الوصولى بالنفاق .

المشكلة الآن التي تداعب فكر ســـامي ، وتـــؤرق نومـــه ، هـــي الحصول على قلب ينبض بالحياة وقطعة من المخ ، أو المخ كـــاملا ، لتنشيط هذا النبض ، فمن له القدرة إذن على أن يـــهب غـــيره هـــاتين القطعتين الثمينتين ؟..

لو كان الأمر يقتصر على التبرع أو حتى بيع بعض لـــترات مـــن الدم ، أو غدة بمكان ما أو وصلة لشريان أو وريد ، أو حتى جزء مـــن الكبد ، لهان الأمر ، وتسابق أصحاب المروءة ، وأحباء المال إلى ذلـــك طالما أن حياته هو الآخر مستمرة .. ولكن الإنسان يدرك بفطرتـــــه أن الموت هو خليفة مثل هذه الصفقات ، وليس لأحد القدرة على أن يـــهب

لنفسه الموت ، أو يدفع بحياته للآخرين مهما كانت الصلة أو الثمن ..

حاول مرة أن تزايد شخصا ما ، وعلى أي مستوى من الثقافـــــة ، أن تشتري قلبه أو قطعة منه ، فمهما بالغت في الثمن إلى غـــير حـــد ، فلن تستميله ، وربما يتهمك بالجنون ، أو يقتلك .. فالمعنويات كــــالحب والعاطفة وأقواهم الحياة .. لا توزن أو تكيل بالمال أو بالماديات ، إنمـــا تكيل بالمعنويات ، وتلك هي مبادئ الصفقات ، فربمـــا يقتـــل الإنســـان نفسه من أجل حبيبته ، أو من أجل وطنه مثلا ، وهذا جائز ، ولكن مـــن أجل المال ؟! .. مستحيل .

كان الدكتور سامي يطرح على خدمه فردا فردا سؤال واحد :

ـــ بكم يساوي قلب الإنسان ؟ ..

فيتلقى الرد الدائم :

ـــ كل كنوز الدنيا .. ما تساويش ثمن شريان يا بيه .

فيتملكه اليأس ، ويستصغر قيمة المال عنده .. فيقول :

ـــ ذلك هو الفقر بعينه .

وبسذاجة إقترح هشام إقتراحا قبل أن يغادر القصر قائلا :

ـــ إحنا نعمل إعلان في الجرائد .. ونقول عايزيين إنسان للبيـــع أو قلب ومخ بمليون جنيه .. والوسطاء يمتنعون .. ونشوف ميـــن اللـــي عنده إستعداد ..

فقال سامي ناهرا :

ـــ أنت إتجننت .. القانون سيعتبرها جريمة ..

فقال هشام ليثبت عدم تفاهته :

ـ لو كل حاجة قلنا فيها القانون .. عمرنا ما ها نعمل حاجة .

فقال سامي ناصحا :

ـ إحنا يا هشام في عالم بيحكمه العرف والقانون .

أدرك الدكتور سامي كل ذلك ، واستغرق في تفكير عميق ليضـــع حلا لهذه المعادلة الصعبة ، فهي مشكلته التي عـــرف عنـــها أصولـــها وجذورها ، وهو رجل عنده أيضا حل لكل المستحيلات .. فتبدل حالـــه وأصبح ينام النهار ويقوم الليل .. والأفكار الشيطانية تتصاعد وتتلبد في عقله ، والجهاز العجيب ينميها ويصنع بعقله ما يفعلـــه الســـحر .. ثـــم تلاشت جميع الأسئلة عنده ، وبقى سؤال واحد يجـــب الإجابـــة عليـــه وتنفيذه مهما كلفه الثمن .. وهو كيف الحصول على قلب نابض ، ومـــخ سليم ؟.

مر يومان سافر خلالهما محمود إلي اليابان ، لتحقيق حلم ســـامي وأمله في أن يصبح جهازه الأول في العالم يجـــرى جراحـــات دقيقـــة وسريعة وناجحة ، دون تدخل بشرى .. وإنها لفكرة جهنمية لعقلية فـــزة جبارة ، هزها المرض ، وغير سلوكها الجهاز العجيب .

الفصل الرابع

إستيقظ الدكتور سامي من نومه في الحادية عشر من صباح يـــوم السبت .. وارتدى روبه الصوفي ، وعلامات النوم إرتسمت على وجهه الشاحب .. وعندما هبط الدرج الداخلي للقصر .. وجد هشـــام وعـــامل البناء ينتظرانه بالصالون .. فحياهما وجلس واضعا إحدى ساقيه علـــى الأخرى .. ثم وجه حديثه إلي عامل البناء بعد أن عرفه هشام قائلا :

ـــ الأوسطي حنفي الشحات .. فني المحـــــارة والبيـــاض ولصـــق القيشاني والسيراميك ..

فاستوقفه سامي .. ثم قال لحنفي :

ـــ عندي مكان ببدروم القصر .. وأريد كسوته بالسيراميك وعمـــل صرف صحي له وخلافه .. لتحويله إلي غرفة عمليات .

فاندهش هشام بغباء .. نظرا لهذا الإتفاق الغريب .. ولكنه سر لـــه ظانا أن سامي تحول إلي تجارة الأعضاء البشرية مثله .. فبـــدأ ينظـــر إلي حنفي على أنه بنك بشرى متحرك ، كما يزن الأعضـــاء البشـــرية المأخوذة منه بالدولارات .. ولم يعر اهتماما لإتفاق سامي الحالي معـــه بينما تابع سامي حديثه قائلا لهشام .. الذي كان يسرح بخياله في أفـــق هذا اللون من التجارة :

ـــ إتصل بالمهندس شكري لبيب لتجهيز العمالة اللازمـــة لســـرعة التنفيذ .

فتلكأ هشام في الرد لعدم إستيعابه .. ولكنه أدرك بفطرتـــه إقتنـــاع سامي بالصفقة .. ثم قال :

ـ نعم ؟.. حاضر سيبدأ العمل من اليوم ..

ومال هشام بجسده نحو سامي محدثا بصوت منخفض وكأنه يطمئن على نوعية البضاعة وحسن تصرفه .. فقال :

ـ ايه رأيك ؟.. هنبدأ إمتى ؟..

فقال سامي ليوقف تهور هشام وعجلته من أمره :

ـ إهدأ .. شوف لنا زوجته أولا .. لنتفق معها حتى لا تلحق بنا الكوارث .

الآن فقط أدرك هشام أن الصفقات لابد وأن يرتب لها بهدوء وتأني .. ومن الغريب أن حنفي كان ينظر إلي روعة وجمال المكان بتحفه الثمينة .. ويتمنى أن تعمل زوجته خادمه فيه .. ربما تستطيع أن تلهف منه ما تقدر عليه .. وربما أيضا يغدق عليها الدكتور .. فكل شئ هنا له فائدة .. وحينما طلب منه سامي أن يحضر زوجته للخدمة بمنزله .. طار من الفرحة .. وكأنه وجد كنز سليمان .

واستمر العمل .. وجاءت زوجة حنفي ذات البشرة الداخلية البيضاء .. والعود الممتلئ والملفوف بأنوثة بنت البلد .. والفقر نقش علاماته على وجهها بالبؤس .. ولكنها الآن بدأت تنعم برغد العيش منذ أن خدمت بالقصر .. وذات مرة إنفرد سامي بها ليعقد معها صفقة لم تفهمها في حينها فاستهل حديثه بخبث قائلا :

ـ أتحبين زوجك ؟ .

ـ حبه برص وعشرة خرس .. ده راجل خسع ما يستاهلشى النظرة .

ـــ ولو حبيت أشتريه تبيعيه بكام ؟ .

ـــ ولا مليم .. نفسي يعمل راجل .. ويخش عليه بحتة لحمـــة .. أو بطيخة .. أو حتى بحزمة بصل .. ويريحني من خدمة البيوت .. ويلـــم عياله المرميين في الشوارع .

ـــ ياه لحد كده بتكرهيه ؟ .

ـــ آه .. من كام يوم .. الواد سعيد ابنه كان هيقتله علشان ضربنـــي بالقلة .. وستر ربنا جت بعيد عن دماغي .. ليه وليه وأنا بقوله مـــالك ومال أم كوثر .

لم يعر لحديثها أي اهتماما ولكنه قال ضاحكا وهو يعني ما يقول :

ـــ تاخدى مائة ألف جنيه وتبيعيه لي يا أم سعيد ؟ .

ـــ حلال عليك .. من غير فلوس .. إن شـــاء الله تفرمـــه وتأكلـــه للكلاب .. وتريحنا من شره .. ده راجل بتاع حشيش ومبصبصاتي .

سر سامي جدا من منطق أم سعيد ، وسلاستها في عقد الصفقـات ، فقال مندهشا :

ـــ خلاص إتفقنا يا أم سعيد .

ثم ناولها ورقة حمراء بمائة جنيه .. ظنتها في بادئ الأمـــر أنـــها عشرة جنيهات من الطبعة الجديدة .. وأغمى عليها حينما عرفت أنـــها مائة جنيه .

كانت أم سعيد زوجة الأوسطي حنفي الجاهلة تظن أن الدكتـــور ، يطيب خاطرها ويعطف عليها وعلى أولادهـــا ، وقـد أذاب الفـوارق

الطبقية بينهما .. ولم تدرك بذكائها المحدود أبعاد الصفقة .. كل ما كانت تفكر فيه أن زوجها ربما يسافر للعمل بالخارج .. ويريحها من همومه وهمه ونكده .. وإذا صلح حاله بقيت له زوجة مخلصة .. أما إذا ظل على ما هو عليه .. سلكت هي طريقا آخر يوصلها إلي الثراء بسرعة ، ولن تتوانى .. فهي إمرأه خصبة ومنتجة ومرغوب فيها .. وتعرف نفسها تماما .

إنها على مستوى عالي من الأنوثة .. فقط تستحم وتضع الأحمر والأخضر .. وكله يبقى عال .. بعد ذلك تلعب على الدكتور وتسحب فلوسه .. فهو ساذج وكفه مثقوب .. كما أنه عازب .. وإيناس المعصعصة..لم تعادل قوامها وقدها..وهو فيه أحلى من البلدي؟.. هكذا كان منطق أم سعيد زوجة الأوسطي حنفي..كإمرأة من الجمالية .

وذات يوم إستحمت أم سعيد زوجة حنفي .. ولطخت وجهها بالأحمر والأخضر .. والعمل يجرى بالبدروم على قدم وساق .. إستغلت فرصة عدم وجود إيناس بالقصر .. وقد عرفت عنها الكثير .. بينما كان سامي بالبراجولا يستمتع بالموسيقى وسعادته التي ستريحه من عناء البحث على ضالته المنشودة ، وعدم إرتكاب المزيد من الجرائم .

تظاهرت أم سعيد بتنظيف زجاج البراجولا الخارجي .. ثم دخلت عليه وهي تظهر الإنتفاخ العلوي لنهديها ، ثم استدارت لتداعب أردافها.. أو تعري جزءا من فخذيها .. كما لو كانت هذه الحركات دون قصد منها .. بينما تهدف إلي استمالته نحوها .. (مبادئ صياعة لبنت البلد) .. فتتعالى ضحكات الدكتور سامي ويجزى لها العطاء .. حتى تمادت فيما تأتي به لعله ذات مره يعريها ، ويأتي عليها .. ثم تطلب منه ما يحلو لها .. ولكن دون جدوى ..

ولما نفذ صبرها ، وطال إنتظارها .. وهو غير مكترث .. ربمـــا يخشى وجود زوجها بالقصر .. عرضت نفسها عليـــه ، وهـــي شـــبه ملتصقة به .. وهامسة في أذنه قالت :

ـــ أنا تحت أمرك يا دكتور .. وأنت وحداني وبتاع مزاج .

فقال وهو يبتعد عنها :

ـــ إيه ده يا أم سعيد .. أنتي فهمتيني غلط .. أنا عايز جوزك .

فقالت باندهاش .. وقد ظنت شيئا محرما :

ـــ جوزي ؟.. لكن ده راجل وأنت راجل..هي من قلة النســوان ؟.. ما ينفعش .

ومحاولا إقناعها قال :

ـــ أنت مخك راح لبعيد خالص ..

ثم مصمصت شفتاها الغليظتين .. وقالت :

ـــ طيب فهمني ..

ـــ أنا هاشتري جوزك وأدفعلك مائة ألف جنيه..لأني محتاج قلبه ..

ـــ مش بقول لك قلبي أتفتح لك .. متاخد قلبي أنا ؟ .

ثم قطب جبينه وقال :

ـــ أنا ما بهزرش .. إحنا ح نعمل له عملية وناخد قلبه ونركب لـــه قلب صناعي .. وأسفره كمان يشتغل في الدول العربية ..

ولم يكمل الدكتور سامي بقية الصفقة ، حيث أن جزء مـــن المــخ مطلوب أيضا .. والآن فقط أدركت أم سعيد نوع الصفقة ، فبدأت تزايـد على زوجها ، وسامي يرفع القيمة .. حتى وصل السعر إلي ثلاث مائـة ألف جنيه .. وهنا قالت :

ــ طيب وأنا ح أعمل إيه يا بيه ؟.. أدبحه بالليل وأجيب لـــك قلبـــه بكره الصبح معايا .. واللا دوري معاك إيه ؟ .

ــ أنتي مالكيش دعوه خالص .. أنتي ح تمضي ورقة ، وتــــاخدي عليها فلوس وبس .. وأنا علي الباقي .

ثم جهز إقرارا مطبوع على ورقة ، ووضــع بصمتــها عليــها .. بالموافقة على إجراء جراحة بقلب حنفي وتركيـــب قلبــا صناعيــا .. وانتزاع قطعة من مخه إذا لزم الأمر ، وتمت الصفقة مــع الزوجــة ، لتنعم هي بالمال ، وأولادها معها إن رغبوا ، أما هـــو فغــير معلــوم مصيره .

منطق أم سعيد هو الحصول على المال ، وغوار زوجــها للعمــل بالخارج كما وعدها الدكتور ، فليس مهما بالنسبة لها وجود هذا الــزوج الفاشل ... بماذا تستفيد منه ؟ .. إشباع رغبة جنسية متوحشة لديـــها ، أثناء لحظات مخطوفة في غفلة عيون أولاده بغير إستمتاع ؟ .. غـــير مهم .. إنها ستحصل على هذه اللذة مـــن غــيره ، ولســاعات مليئــة بالفرفشة ، ومليئة أيضا بالمال ..

منطق غريب وفلسفة عجيبة تجمع بين إمرأة القمة وإمرأة القــاع .. غاصت بها القمة في أعماق القاع .. حتى طبيبنا من أهل القمة يبحـــث عن قلب وعقل عند أهل القاع ..

كانت إيناس تصاب بالغيرة الحريمي عندما ترى أم ســـعيد وهـــي

تمرح بالقصر .. ولا تستطيع أن تفتح فمها .. ولا تملك المقدرة علـــى طردها .. فهي ليست سيدة القصر .. ثم بدأت تشك فـــي ذوق ســـامي الذي إنحدر أخيرا .. وليست هي السبب .. ولذا فإنها صممت علـــى أن تكون سيدة القصر .. تمتلك كل شئ فيه ، وتشخط وتنطر .. وتبقي هـذا وتطرد ذاك .. ولكن كيف السبيل إلي ذلك ؟.. إنه دهاء ودلال المـرأة.. تستخدمه كيف تشاء ، ومتى تشاء .

وفي أحد زيارات إيناس للقصر ، وهي تبحث عن سبيل لإخـــراج سامي من عزلته داخل نفسه والقصر .. إقترحت الخروج إلي النـــادي ، أو إلي الشوارع التجارية .. فاختار النادي .

لم يلحظ سامي .. وهو يرتدي ملابسه .. التغيرات التـــي طـرأت على وجهه ، كبروز حاجبيه ، واستطالة نابيه .. كما لم تلحـــظ إينـــاس ذلك ، فالرجل عندها لا يعيبه إلا ما في جيبه .

وبينما كانت تتأبطه في النادي ، وبجوار الشبك المحيـــط بلاعبـــي كرة السلة ، ينظر أجساد اللاعبين وبنيتهم القويـــة ، متمنيـــا أن يظفـــر بأحدهم فينتزع من داخله حاجته .. فلاحظت وجهـــه طفلـــة ، عندمـــا إقترب منها مداعبا ، فروعت وصرخت بصوت عـــالي ، حينمـــا رأت بروز حاجبيه ، واحمرار عينيه ، واستطالة نابيه .. ثم جـــرت الطفلـــة نحو أهلها .. ماذا حدث ؟..

الكل يتساءل .. فهذا الطبيب كانت تحبه الأطفال لعطفه عليـــهم .. فلماذا يفرون الآن ؟ ، وجاء أهل الطفلة يعتذرون للدكتور سامي ، وقـد أخفوا حقيقة ما روته الطفلة عن شكله الخرافي المروع ، ويســـتطلعون بأنفسهم هذا الشكل .. بينما أصدقاء النادي الجالسين بعيدا يتغـــامزون ، ويتجاذبون أطراف الحديث عن ثرائه وسلوكه الشخصي مع إيناس دون زواج .. لم يعرهم سامي أدنى إنتباه .. وهو يغادر النادي إلي قصره .

سافر محمود إلي اليابان لتحقيق أحلام وأفكار الدكتور سامي ، ولم ينسى نصيبه الكبير من هذه الصفقة ، واحتل هشام ما كان يحلم به في إدارة المستشفى التي غاب عنها سامي لفترة طويلة ، فأحاط هشام نفسه بهيئة ومكانة طالما بذل المزيد من النفاق لصنعها ، كما أصبح لديه الآن صفقات كفيلة بثرائه ، سواء التي عقدها أثناء المؤتمر ، أو بواسطة الإنترنت ، فذاع صيته في هذا المجال .. ولم يفكر أن يهدى سامي حالة واحدة من حالات الحوادث التي ترد للمستشفى ، متعللا بأن جميعها لا تصلح ..

بينما إنفرد سامي لأفكاره ، وجهازه الشيطاني العجيب ، وإيناس من جانبها تبذل أقصى ما في وسعها من أنوثة ، وتتحمل تعذيبه ووحشيته الجنسية التي طرأت عليه ، وهى تبتز المزيد من ماله .. وتستميله على الزواج منها ، وهو غير بال بما يجيش في نفسها ، ويستنكره .

وانفرد الدكتور سامي بالأوسطي حنفي ، وأجرى عليه الفحوصات الدقيقة .. عندما إشتكى حنفي بنغزة في قلبه ، أثناء عمله بالبدروم .. فأرسله للمستشفى ، كي ترسم لقلبه ومخه الرسوم البيانية المتموجة .. ويأخذ لهما الصور الإشعاعية ، وأوصى هشام بالإهتمام وكتابة تقريرا مفصلا عن حالته .. وكم كان يأسه ، عندما فوجئ بأن قلب حنفي هو الآخر مريض ومتضخم ولا يصلح .. ولكن المخ يعمل بصحة جيدة .. ولهذا قرر أن تقتصر الصفقة على المخ فقط .. أما القلب فلابد من سبيل آخر للوصول إليه .

وفي أحد إعتكافاته بنفسه وجهازه المسيطر على كامل فكره ، جال بخاطره أن يخرج للمجتمع بحثا عن قلب ، وقطعة من المخ إن أمكن ،

يشفيان غليله ، ويعيدان إليه الثقة بنفسه وبطول عمره ، فهو محب قوى للحياة ، واعتقد هو أن هذا من حقه ، فطالما أسعد المجتمع بعطائــــه .. ووهب الحياة لغيره ، وهو الآن أولى النــــاس بــــهذه الحيـــاة ، وعلـــى المجتمع أن يرد الجميل ويهب له أحد أفراده ، بثمن أو بدون ، ينـــتزع منه قلبه وقطعة من مخه ! .. فتتحقق المعادلة ، ويستمر في عطائـــه .. ولن يضن أو يكل أو يتطرق إليه الملل في عطائه .

إحتجز الدكتور سامي تذكرة للسفر بالقطار إلى أسوان ، واســــتقل سيارته الفخمة مرتديا بذلة سوداء وكوفية حمراء ، ويلتحف بالطو مـــن الصوف الخالص الأسود ، وتختفي عينيه خلف نظارة سوداء ، يطـــالع بها المارة على الأرصفة ، وقائدي السيارات المجاورة ، كالصقر حينمـا ينتقي فريسته ، بينما الغيوم الملبدة بالماء المطير تبطن صفحة السـماء ، وعجلات السيارة تشق ممرا في الوحل تتناثر قطراتـــه الطينيـــة علـــى الجانبين .

ونزل من سيارته بعد أن وصلت إلى الباب الحديدي لسكك حديـــد مصر بالقاهرة ، حاملا على أحد كتفيه حقيبة يد ، وباليد الأخرى حقيبـــة دبلوماسية (سمسونايت) ، وعيناه الحمراويتان لا تزال ترقب الركـاب وتتفحص بنيتهم ، وتتنقل بين ركاب عربة النوم الثانية التي ستأويه فـــي أحد غرفها .

وأعجبه شدة الزحام على الرصيف الخاص بقطار أسوان ، وكـــأن الناس الواقفة والمترجلة والجالسة على المقاعد ، تتكاتف لتواجه أمـــــر ما.. فكيف سيختطف منهم فريسته ؟ ..

كان بخار الماء يتصاعد من أفواههم كالتنين .. ثـــم يمـــتزج كمـــا تمتزج أحاديثهم وتتحول إلى صوت واحد غـــير مفـــهوم .. ضجيـــج ، ولكنه سعيد بهذا المجتمع الذي إنعزل عنه .. وأدهشه عـــامل البوفيـــه

وهو يخترق هذا الزحام بجلبابه المقلم وغطاء رأسه الصوفي ، وبـإتزان لاعبي السيرك .. كان يحمل بيد صينية عليها عدد هائل مـــن أكــواب الشاي ، تتصاعد منها أبخرة تشعرك بالدفيء ، وهي غارقة في بحـــيرة الماء الذي يملأ الصينية ، بينما يقلب باليد الأخرى الســـكر الموضـــوع داخل كل كوب بملعقة ضاع لونها الفضي بصبغة الشاي .

وبنظرة واحدة على الحقائب تستطيع أن ترى جميـــع أطوارهـــا ، منذ أن كانت علــــى شـــكل (مشـــنة) أو (قفـــة) حتـــى أصبحـــت (سمسونايت) وقد إمتلأت بأصناف شتى لمختلف الإحتياجات .. وبنظرة واحدة أيضا تستطيع أن ترى جميع أطوار الأزياء والملابـــس ، التـــي تعبر عن مختلف الأذواق والعادات والتقاليد والثقافات ، وبنظرة خاطفـــة تلحظ بها اللص والشريف ، المريض والسليم ، الدميم والجميل ، تلـــك هي نظرات د. سامي داخل هذه الدولة المصغرة التي سيجمعها قطـــار واحد .. فخطف أنظاره بعدما إنعزل عنه .

وصعد العربة المجهزة بغرف النوم المتجاورة ، التي تطل بأبوابـها الأنيقة على ممر ضيق ، بينما تطل نوافذها على أرصفـــة المحطـــة .. ودخل الغرفة السابعة ، ووضع حاجياته وهو ينظر من النافذة كـالغريب ثم خلع البالطو وعلقه على الشماعة ، وأرخى بجسده علــــى الكرســـي الفوتيه المخمل .

ولم يقضي وقت طويل ، حتى سمع طرقا عنيفا بالباب ، وهيكـــل ضخم الجثة يرتدي ثوبا رماديا ، تسربت ملامحه مـــن خـــلال زجـــاج الباب المشطوف الغير شفاف .. إنتفض الدكتور سامي للحظة ثـــم قـــام لفتح الباب دون أن ينطق ببنت شفة ، وإذا به أمام رجل ممتلئ ، ويتقدم وجهه الضخم ، شارب مفتول عريض ، يفصل بين أنف غليظ و لامـــع وشفتان أيضا غليظتان ، ويخرج من بينهما صوت أجش قائلا :

ـــ لا مؤاخذة يا أستاذ .. الأوضة دى بتاعتي والرقم أهه ..

فتناول سامي تذكرة الجثة الضخمة وكانت مكتوبة بالإنجليزيــــة ، فإبتسم لجهله ثم قال بصوت رخيم :

ـــ أوضتك نمره سبعة عشرة .

ثم خرج معه إلى منتصف الطرقة وشاور له بسبابته عليها ، بينمـــا الآخر يندفع محشورا بالطرقة وهو يشكره ويتأسف له بنفس الصـــــوت الأجش .. ثم عاد سامي إلى صومعته والسعادة والإبتسامة تملآن فاهـــه ثم إتكأ على الكرسي المخملي ونشوة الإنتصار والظفر بضالته تحتضنـــه فشرد إلى فكره وخططه المقبلة ، في السطو على قلبه ..

وهاجم ظنه بعض الأسئلة .. ترى بماذا تعمل هذه الجثة الهائلـــة ؟ ربما يكون تاجرا كبيرا للماشية .. أو ربما يكون تاجرا للمخـــــدرات .. أو ربما يكون من الأعيان ، وصاحب أطيان .. ولكن ملامحه تدل على أنه فلاح من الوجه البحري ، إذن ما هو سبب سفره إلى الصعيـــد ؟ .. العمل غير مهم ، والسفر أيضا لأي جهة غير مـــهم فـــي مثـــل هـــذه الظروف .. لكن المهم هو الحالة الصحية للفريسة لإتمام الصفقة ..

وما هي إلا لحظات مرت ثم مرق القطار كالســـهم الجـــامح بيـــن المروج الخضراء الواسعة ، ونبت الصبار وأعـــواد الغـــاب تـــتراقص عندما تقفز عجلات القطار على فواصل القضبـــــان ، بينمـــا الحركـــة بالطرقة الضيقة إزدادت بوقع أقدام تشع بالأنوثة ، إنهن عاملات البوفيه وجرسونات مطعم القطار ، وهـــن يســـألن رواد الغـــرف بأصواتـــهن الناعمة .. رغبتهم في تناول وجبة الغذاء داخل الغرفة أو بالخارج فـــي عربة المطعم المشهورة بطاولاتها النظيفة ، كأنك في صالون الدرجـــة الأولى بالطائرة أو في أحد صالات الطعام بأحد الفنادق ذات الخمســـة

نجوم ، وشتان بين عامل البوفيه بالمحطة وبيـــن الجرســـونات داخـــل القطار ، وطلب الدكتور سامي غذائه في عربة المطعم ، لأنـــه يريـــد المجتمع ، ولا يريد السجن داخل غرفة النوم ، ولذلك كان يخرج مـــن حين لآخر ، بسبب أو بدون سبب .. فيتمشى بالطرقة الضيقة ليغـــازل هذه .. أو ينظر لتلك .. أو يهرب ببصره ليتفحـــص الركـــاب ، لعلـــه يصادف الجثة الضخمة .. أو ينتقي غيره .. فحرفة وفن الصيد تحتـــاج ذلك ..

وللمصادفة التي تصنعها سامي إتخذ مكانا بجوار الجثة الضخمـــة ، لتناول غذائه على أحد الطاولات في صالة الطعام بالقطـــار ، لإقامـــة المزيد من الصداقة .. ولما تأخر إعداد وجلب الوجبة .. إنتهز ســـامي الفرصة ليستدرج الجثة الضخمة في الحديث بقوله :

ـــ أنت لما خبط على جامد .. إفتكرتك بوليس .

ثم تراجعت الجثة الضخمة للخلف وهو يستعيذ بالله :

ـــ فال الله ولا فالك يا شيخ .. ربنا يجعل كلامنا خفيف عليـــهم .. دول ولاد حرام .

ثم سكت قليلا ، وعاد ليسأل :

ـــ وأنت من غير مؤاخذة بتشتغل إيه ؟

ـــ أنا يا سيدي جراح قلب .. دكتور يعني .

ـــ ونعم .. سماهم على وجوههم .. أيوه كده .. أنا برضـــه كنـــت فاكرك بوليس .

ثم طال الحديث بينهما ، وأخذت الضحكات تتعـــالى ، وأصـــوات

التقارب بينهما ترتفع ، وأواصر الصداقة تقــوى .. ابــن الباشــوات يعرف كيف يصطاد وكأن معه جهازه العجيب .. ومن خــلال ســحر حديثه عرف الحقيقة .. إن الجثة الضخمة تاجرة مخــدرات .. وتنفــس سامي الصعداء ، فالمهنة تدل على قلب ســليم وجــرئ ، وهمــا الآن يستطيعا تبادل الزيارات بالغرف وقضاء بعضا من أوقات الفرفشــة .. فالدكتور من وجهة نظر ضخم الجثة ابن نكته .. ويمكن إتخاذه ســتارا يختفي خلفه من أعين البوليس ، ولذا فلا مانع من التسلية ، أو تنــاول بعضا من كؤوس الخمر كما وعده سامي ، نعم تحالف الشياطين .

مفاتن الجرسونات ودلالهن ، كانت كافية لإرغام الراغــب وغــير الراغب في طلب المزيد والمزيد من الطلبات ، لتزداد عمولتهن ، حتــى الأجنبيات ضاع جمالهن البلاستيكي بينهن .. وضخــم الجثــة هــذا .. يجلس إلى جواره منجم فلوس لا ينتهي ، ولذلــك امتــلأت طاولتــهما بأنواع شتى من المشروبات الساخنة والباردة ، وتكررت وجبات الغـذاء لرقم غير معلوم ، فالفريسة من وجهة نظر سامي ، يجــب أن تصــاب أولا بتخمة ، تستوجب العلاج .. ثم بعد ذلك تصبح الجثــة الضخمــة رهن تصرفه .

كانت ايناس البشاري ، تتصل من حين لآخر بالقصر وبالمستشــفى خوفا من فقدان عشيقها المريض والمحموم بــها ، وكنزهــا الــذي لا ينضب وأملها في الثراء .. وهشام أيضا أجرى الكثير مــن المكالمــات خوفا من زيارة سامي المفاجئة .. ثم يــزداد لديــها اليــأس ، حينمــا يخبرونها بعدم معرفة مكانه ، فتختلس منها الشهقة ، وتلتــهب لهفتــها على كنزها المعشوق وهي تقول لعثمان :

ـــ يعني إيه طفش ؟ .. نهاركم أسود لو مخبيينه عني .

عاد كل من رواد المطعم إلى غــرف النــوم ، وهــدأت الطرقــة

الضيقة من الجرسونات ، ومفتشي القطار ، والركاب ، وكـــأن النـــوم يعلن سطوته ، بينما الدكتور سامي بغرفته لا يعـــرف ســـبيلا للنـــوم ، ويهيم بفكره في نواحي شتى ، فيتخيل التجربة الأولى مرة ، أو بعـــض جلسات المؤتمر ، أو يستعرض هياكل الجرسونات ، أو يمتعض حينمـــا يتذكر ما رآه بالتجربة الثانية ولم يخطر بباله إيناس قط ..

وبعد قليل جاءت الجثة الضخمة ، وتدعى (المعلم جوده) .. قـــد يكون هو إسمه الحقيقي ، أو إسم الدلع ، أو الإسم الحركي خوفـــا مـــن البوليس .. المهم أنه جاء شاكيا من آلام حادة بالمعدة ، وكأنـــــه علـــى وفاق مع فكر سامي ، الذي خطط له بعناية ، وقد إستغل كل ما تحملـــه الظروف والصدف .. أو هذا ما أراده سامي بالفعل .. فلما شاهده وهـــو يمسك بمعدته ويعتصر من الألم قال سامي مازحا :

ــ الله .. الله .. الله .. إيه ده يا معلم .. أنت ما لكش فـــي الكـــلام التاني ولا إيه ؟ .. أنا كنت جايب الويسكي وجاي ..

ودخل المعلم جوده ، فأسنده سامي على الكرسي المخمل ، وأعـــد له محلولا من الفوار ، إرتاحت معدته عليه ، وهدأ مغصه .. ثم ذهـــب إلى الحمام ورائحته ذات الأصوات المدوية تدفعه إلى هناك ، ومنه إلـــى غرفة نومه ليرتاح قليلا ، إنتظارا لجلسة الفرفشة ، وقد إزداد تمســـكه بصداقة الدكتور ابن النكتة ، ولم يشعر أي من الركـــاب أو العـــاملين بالقطار بما حدث .

كانت الحقيبة السوداء ذات الحجم الكبير نســـبيا ، تحتـــوي علـــى بعض من زجاجات الويسكي الفاخرة ، وإلى جوارها أدوات جراحيـــة معقمة ، وقنينات بأحجام مناســـبة تحتـــوي علـــى ســـوائل حافظـــة ، وسرنجات للحقن و أدوية بأنواع مختلفة ، وكأنها غرفة جراحة صغـيرة ومتنقلة ، أما الحقيبة السمسونايت فكانت مليئة عن آخرها بأوراق ماليـــة

من فئة المائـة جنيـها .. إستعدادا ما بعده من إستعداد .. حقـا فكـر هذا الطبيب وطموحه لا يعوقه عائق .

حمل الدكتور سامي الحقيبة الكبيرة ، بعد أن دس فيها بعضا مـن الحزم المالية ، وغادر غرفته بعد أن أغلق الباب و أوصـده جيـدا و علق على مقبضه الإشارة التحذيرية بعـدم الإزعـاج .. ثـم وصـل متلصصا إلى الغرفة السابعة عشر ، حيث المعلم جوده .. ثـم وضـع على مقبضها بالخارج إشارة تحذيرية أخرى ، ولما دخلها أوصد بابـها من الداخل ، وجلس على الكرسي المخملي ، وأعد كأسين من الويسـكي المعتق المعتبر ، وشرع في إيقاظ جوده ، وهو يغريه بزجاجة الويسـكي فنهض الآخر وتناول كأسه وتجرعه في شربة واحدة ، ثم طلب جـوده كأسا آخر ..

ولم يهنأ بنشوته كثيرا ، فلم يكن يدري أن الكأس به مخدر قـوي ، وأنه آخر كأس سيتجرعه وهو على قيد الحياة ، ثم تمدد جـوده علـى سرير القطار الفاخر ٠٠ كأنه في غيبوبة ، أو جثة هامدة ٠٠ ثم حقنـه سامي بكمية مناسبة من البنج ٠٠ وبعد قليل من الوقت إنقـض علـى صدره فشجه ٠٠ ووصل إلى قلبه القوي فقطـع شـرايينه وأوردتـه ، وبخبرته الواسعة كان يغلق كل وريد أو شـريان يقطعـه ، حتـى لا يتسرب منه الدم ٠٠ وبينما هو منهمك في عمله سـمع طرقـا خفيفـا بالباب ٠٠ فتوقف للحظة حتى توقف الطرق ، وانصرف الطارق ٠٠

أنهى سامي الإستئصال ٠٠ ووضع القلب في القنينـة الحافظـة ، ونزع القفاز من يديه ، ثم ترك الحزم المالية إلى جوار جـوده ، فـهو يؤمن بأحقية ورثته في الصفقة ، واستغناء المجتمـع عنـه ، لإفسـاده عقول أفراده ٠٠ إذن الصفقة من وجهة نظر سامي متكافئة ٠٠ فسـامي معطاء يستحق الحياة ، وجوده مفسد يستحق الموت ٠٠ فلسفة غريبـة من إنسان غريب ، نسى أن لله في خلقه شئون ٠٠ وجعل مـن نفسـه

حكما وجلادا وخصما في وقت واحد ..

وضع سامي كل شئ إستخدمه في جريمته .. أو في الجراحة كما أوهم نفسه .. في الحقيبة السوداء ، ثم خرج من الغرفة وهو بكـــامل الثقة ، وأوصد الباب من خلفه والإشارة التحذيرية بقيت معلقة ، ثم ألقى بمفتاح غرفة جوده من نافذة القطار ، ثم إتجه خلسة من العيـــون إلـــى غرفته وبحيح صوته يتعالى ، ولم تسنح له الفرصة ليرى هيئته البشـــعة أثناء إنقضاضه على فريسته ، التي تركها أيضا جثة ضخمة .. ولكنها هامدة ، لا حياة فيها .

كانت تباشير مدينة الأقصر تلوح في الأفق ، فأعد حقائبه وحملـــها بعد أن هدأت حالته ، وعاد إلى طبيعته ، وخرج من غرفته ، ثم غـــادر العربة الثانية تماما لينزل من عربة أخرى متخفيا ، ثم غادر المحطـــة أيضا واستقل تاكسي إلى مطار الأقصر ، ومنه إلى القـــاهرة بزحامـــها الذي يذوب فيه الحابل بالنابل .

ومن مطار القاهرة إتصل تليفونيا بسائقه ، ولم يمضي من الوقـــت الكثير حتى ركب سيارته ، التي أقلته في لمح البصـــر إلـــى قصـــره ، وغرفة نومه الأثرية ، ثم إحتفظ بما حصل عليه بالثلاجـــة ، وتخلـــص من كل شئ به آثار للجريمة بالحرق ، فاختفت معالمها ، إلا من القلـــب النابض بشده .. وقيدت النيابة هذه الجريمة ضـــد مجـــهول ، حيـــث إكتشفها مصادفة كمساري القطار ، وأخبر عنها الشرطة .

كانت الساعة الكبيرة المعلقة بركن من أركان الغرفة الفخمة تشـــير إلى الواحدة ، والليل الموحش بالخارج يعوي بنباح الكـــلاب ، ونقيـــق الضفادع ، وصفير الصراصير ، والسحب الكثيفة بالخارج تبكي بمطـــر غزير ، كان يسمع نقره على العلب المعدنية لأجهزة التكييف ، وعلـــى أخشاب النوافذ ، كأنها تبكي عظيما هوى إلى أعمـــاق نفســـه الأمـــارة

بالسوء ، تاركا نفسه المطمئنة إلى أنانيته المفرطـــة المفجعـــة ، فبـــات سامي لا يعلم من بعد علم شيئا ، هل هذه الجريمة هي أولى جرائمـــه ، وبداية نهايته ؟ .. أم إنها آخر جرائمه وهـــو يتمتـــع بحيـــاة أنهشـــتها الأنانية ؟٠٠

لقد عاد محمود وجلب معه الخبير الياباني ، والجهاز الإلكتروني ، والقاطع الليزري ، الذي سيجهز به على سامي وبالتالي ثروته ، فيجعله كالخاتم في إصبعه أو كالعجينة الصلصالية يشكلها كيف يشاء ، بـــالرغم من أن له مطلق الحرية لأن يستمتع بماله الذي جمع منه الكثير ، وقـــد وضع للجهاز المواصفات الدقيقة ، والبرامج القوية المتخصصـــة ، ذات الكفاءة العالية لمزيد من السيطرة السلمية على عقل سامي ٠٠

بينما هشام بالمستشفى ، يمـــرح ويصـــول ويجـــول ٠٠ بعـــد أن توسعت تجارته في القطع البشرية ، المنزوعة من أصحابها المرضـــى دون علمهم ، أو من أصحاب الحوادث ، في غفلة من أهلهم ٠٠

ثم بدأ يبحث عن أسلوب ملتوي يلصق به الورطة بسامي فيجـــرده من كل أسلحته ٠٠ وهو الذي سبق وأن تخيله بهيئتـــه البشـــعة الغـــير بشرية أثناء التجربة الثانية ٠٠ إنتقاما مما فعله ســـامي فـــي التجربـــة الأولى ، ونيته الغير سويه في نزع قلبه ٠٠

ولذلك أصبح سامي بالنسبة لهشام غير مأمون الجانب ٠٠ وهـــذه هي الحقيقة التي أخفاها محمود قبل سفره ٠٠ حتى لا ينكشف سر هـــذا فيفضح الآخر ، عندما كانت التجربة الثانية توشك على الإنتهاء ٠

وفي المستشفى ، أنهى هشام صفقة سريعة مع طبيب سويســـري ، جاء خصيصا من أجل كلية نشطة ، ولحسن الحظ كانت جاهزة ، حيـــث إنتزعها هشام حديثا من مريض ٠٠ جاء من أجـــل إســـتئصال زائـــدة دودية ٠٠ وفي عجالة ، وغفلة من أهله ٠٠ جعل هشام والد المريـــض

يوقّع على إقرار باستئصال الكلية المجاورة للزائدة الدودية ، بدلا من الزائدة نفسها ٠٠ ثم إستأصل الإثنين معا ، واحتفظ لنفسه بالكلية ، فوضعها بقنينة السائل الحافظ ، ليأخذها الطبيب السويسري في عجالة أيضا ٠٠ بعد ذلك إتصل هشام بسامي فوجده نائما ٠٠ فترك له رسالة عاجلة على الكمبيوتر

تلقى الدكتور سامي المكالمة المسجلة من هشام في العاشرة من صباح اليوم التالي لجريمة القطار ، تفيد أن بالمستشفى شاب متهور أصيب في حادث مروع ، أهله من أصحاب النفوذ والمال ٠٠ كانت الرسالة مسجلة بالكمبيوتر ، وبدون مقدمات ، إستقل سامي سيارته قاصدا المستشفى ٠٠ فربما يستفيد منه بالمخ أو أشياء أخرى ٠٠

وهناك إلتف من حوله الأطباء والممرضات ورجال الأمن ، كعادتهم عند زياراته ، وإن كان تجمعهم هذه المرة يفوق الزيارات السابقة ، وليس له معنى إلا تحطيم آمال هشام الطاغية بعودة الدكتور سامي ، وهو سلوك غير مباشر للعمالة التي تعاني من سوء الإدارة . المستحدثة الغير واعية ٠

لم تلحظ هذه الجمهرة أي تغيرات على وجه سامي المتعجل ، وهو يشق طريقه مباشرة إلى الشاب المتهور ، بل كان يستفسر هو من الأطباء المحيطين به ، بصوت خافت ، عن حالة الشاب المتهور ومدى خطورتها ٠٠

لم يكن هشام من بينهم ، لقد كان في إنتظاره عند الشاب المتهور بغرفة الجراحة ، يتتبع حالته حتى وصول إستشاري المخ والأعصاب الدكتور مدحت سعده ولما إنفرد كل منهما بالآخر ، وتبعثرت التشريفة قال هشام متفائلا :

— إنه في غيبوبة نتيجة كدمة عنيفة بالجمجمة فأحدثت نزيفا حادا

بالمخ فضغطت على مركز الخبرات ٠٠ لكن القلب يعمل بكفائة عالية أما عاموده الفقري ، وجد به كسر مضاعف بالفقرة الثامنة ، أحدث قطعا بالجهاز العصبي .

ثم أقترب هشام من سامي ، وهمس له في أذنه قائلا :

ـ فرصة من السما .

ولم يعره أدنى إهتمام ، فمن ذا الذي يملى بخططه عليه ٠٠ ثم شرع يفحصه سامي بعيدا عن الجبائر التي تحتضن أجزاء متفرقة من جسده وأطرافه ، وأخذ يطالع صور الأشعة والرسوم البيانية ، ثم صعد إلى مكتبه بالمستشفى ، دون أن يكترث كثيرا بالأجهزة البشرية للشاب المتهور ، لأنها مجهدة ذات كفاءة قليلة من أثر الحادث ٠٠ ثم لماذا يكترث ولديه أقوى قلب يتحمل به أعتى المصائب والمحن ٠٠ وقد دفع مقابله الكثير في صفقة من طرف واحد ٠٠ أما عن مخ الشاب المتهور فسينتظر رأى إستشاري المخ والأعصاب الدكتور مدحت ٠٠

وصعد أيضا من خلفه ، كلبه الغير وفى هشام ، محاولا للمرة الثانية إغراء سامي بالشاب المتهور ، وكم بذل من جهد طبي تعلمه من سامي ، للحفاظ على حياة الشاب المتهور ، من أجل الظفر بقلبه أو أي قطع أخرى يستفاد بها في جراحاتهم المقبلة ، أو أبحاثهم لرفعة سمعة المستشفى عالميا ، فالشاب المتهور ميت ٠٠ ميت لا محالة ، والحي أبقى من الميت ٠٠ حقا أفكار جهنمية لشيطان آدمي ٠٠

ثم حضر الدكتور مدحت ، وقد حمل بالوصايا العديدة للعناية بفحص مخ الشاب المتهور ٠٠ وبعد الفحص والتمحيص وتكرار الأشعة والقراءات والرسوم البيانية ، كتب تقريره بيأس لعجز الطب في إنقاذ هذا الشاب المتهور ، وبحدة مادية بحتة تغلبت على حديث سامي

عندما قال :

— لماذا نعلق أخطائنا على شماعة عجز الطب وهو يملك كل سبل الإصلاح ؟٠٠ ألا يمكن إستبدال الجزء التالف من المخ بعد تهتكه عندما كسرت الجمجمة ؟.

إستطاع الدكتور مدحت أن يلحظ زيادة طول نابي سامي وهو يتكلم وتقوس ظهره ، ولم يعلق بأي شئ أو يبدى اهتماما ، ولكنه اكتفى بقوله :

— ماذا تقول يا دكتور ٠٠ كأنك تجهل الطب ؟

ثم انصرف د٠ مدحت وعقله يهيج بأفكار غريبة ، وعينان ووجه تملأ هما الدهشة .

وفى ساعة متأخرة من الليل ، وجميع العاملين بالمستشفى قد لاحظوا مدى إهتمام سامي بحالة الشاب المتهور ، وسهره من أجل إحياءه ٠٠ فأختلس سامي هدوء الحركة بالمستشفى ، ومغادرة هشام إلى بيته وأسرته ، وتسلل إلى غرفة الجراحة بعد أن أمر بتجهيزها .

وجلب جثة الشاب المتهور وهى تحتضر ، وانفرد بها وأخذ يتفحص الأجزاء الظاهرية فيها ، وأدهشه وجود جراحات مخيطة في أماكن معينة بالجلد ، أسفل البطن وجهة الكبد ، ومن الخلف جهة الكليتين ، فأدرك ما صنعه هشام ، واستيلاءه على الجثة .

الجثة كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بينما سامي ينتزع بلا رحمة القشرة العظمية للجمجمة المكسورة ، وكاد أن يقع على الأرض مغشيا عليه من هول ما رأى ٠٠ إن قطاعا كبيرا من مخ الشاب المتهور قد تهتك من الحادث ، وليس منه أدنى فائدة بينما الشاب المتهور مازال يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقد سرقت قطعا ثمينة من أجهزته

البشرية ، وكأنه يعاقب على تهوره ، ومما زاد في دهشته بقاء الشـــاب المتهور على قيد الحياة ..

لقد علم سامي ، من خلال إطلاعه على دفتر الحوادث ، أن عـددا لا بأس به منها قد ورد بالمستشفى ، أتلك هي الفرصة التي بذل فيـــها جهدا خارقا ؟ .. ماذا يفعل هشام بالضبط ؟ .. هذا ما سيسأل عنــه ، وربما يحال إلى التحقيق .. ولماذا التحقيق ؟ .. أيعجز ســامي عـن الإنتقام ؟

وسرعان ما أعاد سامي القشرة العظمية للجمجمة مكانها ، بينمـــا الشاب المتهور قد فارق الحياة بتوقف نبض قلبه ، وغادر سامي المكـان إلى قصره ، والليل الموحش بسحابه المطير يطارده .

الفصل السادس

أوشك العمل على الإنتهاء بالبدروم ‥ وتنتهي مهمة حنفـــي ‥ ولا سبيل للحصول على قطعة المخ من غيره ‥ لذلك إحتفظ به سامي لبعض الأعمال التي خلقت لهذا الغرض ، حتى لا يفلت من يده ‥

بينما الدكتور سامي يتابع الخبير الياباني ومحمود ، وهمـــا يثبتـــان التركيبات الجديدة للكمبيوتر ، بعد أن إنتقل إلى البدروم ‥ الذي تحول إلى غرفة عمليات لا نظير لها بالعالم .

وذات ليلة من ليالي فبراير ، والعمل قد انتهى بغرفـــة الجراحـــة الجديدة ، وبالتحديد حوالي الساعة العاشرة ليلا ‥ والصقيع قد حجـــب الناس للدفيء ‥ طلب سامي من الأوسطي حنفي ، أن يمكـــث قليـــلا لإنجاز عمل ما ، كتنظيف البدروم خـــارج غرفـــة العمليـــات ، مـــن الكراتين الورقية والمخلفات ‥ فتمنع حنفي وهو راغب في المكـــوث ، متعللا بتأخر الوقت ‥ وصعوبة المواصلات ‥ ولكن سامي وعـــده بالتوصيل بسيارته الفارهة ‥ فتحفز حنفي للعمل ‥ متلكئا في إتمامـــه حتى تطول مدة بقائه بالقصر ‥ فالعمل هنـــا مريـــح ‥ والدكتـــور يجزل له العطاء ‥ فلماذا ينهيه بهذه السرعة ؟‥ وصاحب القصـــر من جانبه يخلق الأعمال التي يستطيع أن يقوم بها الخدم هنا ‥ كما أن أم سعيد لم تظفر إلا بسرقة بروشا ذهبيا وبعض المعالق الفضية التـــي تعد على أصابع اليد الواحدة ولم يلحظها أحد ‥

وبينما حنفي منهمك في العمل ‥ نزل سامي إليه للإطمئنـــان ‥ وزيادة فترة بقائه بالعمل ، سحب سامي الكرســـي الخـــيزران وجلـــس محدثا حنفي ‥ قائلا :

— بتحب الدنيا قد إيه يا حنفي ؟ .

فقال حنفي متفلسفا:

ــ لا مؤاخذة يا بيه الدنيا منفاته ‥ ونزل اللي يبكـــي عليـــها ‥ وعمرها ما سترت عريان‥

فقال سامي بعجب :

ــ الله دا أنت فيلسوف كمان ؟!‥

ــ الأيام و الليالي علمتني كتير ‥ما فيش حاجة في الدنيـــا لـــها أمان ‥ حتى العيال وأمهم .

ــ وأمهم بقى عملت لك ايه ؟ ‥

ــ النسوان دى إسألني أنا عنهم ‥ يا باشا دور وشك عن الواحـــدة من دول شويه ‥ تنكر خيرك وكل اللي صرفته عليـــها ‥ ويمكـــن تخونك كمان ‥

ــ إزاى يا حنفي دا أنت مشكلة ‥

شعر حنفي أن الدكتور فتح له قلبه ‥ فراح يفتش سره ويقول :

ــ كان معايا واد صنيعي ‥ من دور عيالي ‥ علمتـــه صنعـــة ياكل منها عيش ‥ وفى ليلة كان سهران معايا بنتفق على شـــغل ‥ واديته البياتة وإحنا قاعدين في الصالة بره ‥ وقلت يا واد أخش أريـــح ضهرى وأمدد الجثة شوية على ما أم سعيد تجهز لقمة يطفحـــها علـــى العشا ‥ وفجأة سمعت أم سعيد بتقول وهـــو بيحضنـــها ‥ والكلمـــة خرمت ودنى ‥ لما يغور المخفي اللي جوه ده وبتضحك ‥ ســـاعتها الدم فار في نفوخى ومسكت القلة وكنت ناوى أقتلها ‥ ولولا إن ليـــها حظ وعمر ‥ كانت جت في دمغها وخلصت عليـــها ‥ يقـــوم ابـــن

الكلب سعيد يمسك السكينة و عايز يقتلني من غير ما يعرف حاجة .

– طب ليه ما حكيت لهوش الحقيقة ؟ .

– أمه قالت له قبل منى ·· قال إيه أنا عيني زايغه على أم كوثـــر مره ماتتعاشرش ·· وهى اللي عينيها زايغة .

وقال سامي مستفسرا عن الفارق الزمني بينهما ·· فقال حنفي :

– لا أنا أكبر منها بخمسة عشر سنة .

فقال سامي معاتبا وناصحا :

– طيب يا أخي ·· صغيرة وعيزاك تدلعها .

– خلاص يابيه ·· السن مايسمحشى ·· والصنايعى مننا طـــول النهار بره ·· حكم شغله ·· والمعايش صعبة ·· والواحد لازم يشـيل قرش للزمن ·· الصحة مش دايمة والعيال مابتنفعش ··

فاستكمل سامي نصائحه :

– طب يا حنفي ما أنت السبب ·· لازم تدى لها من وقتك شوية

– شوية إيه يا بيه ·· المرة من دول لازم تقدر ··

– وهى هاتعيش طول عمرها تقدر ·· لازم تشوف يوم حلـــو ·· ويوم تقدرك فيه ··

فقال حنفي بحكمة :

– يا بيه لو قدت صوابعك العشرة شمع ·· مش هاتقدرك ·· مـــا أنا ياما فسحتها ·· رحنا إسكندرية ·· وقعدتها في المعمورة ·· مـــش

هاتصدق ‥ وأنا لا مؤاخذة كنت بأشرب وهيه معايا ‥ وربنا تـــاب عليا لما العيال كبرت ‥

ولما إعترى سامي الصداع من فلسفة حنفي في الحياة ‥ حـــول دفة الحديث إلى إتجاه آخر قائلا :

ــ أنا ها أبعت لك فنجان قهوة ولما تخلصـــه إطلعلـــى ‥ تــاخد حسابك ‥

فقال حنفي وكأنه يريد أن يشعر سامي بسرعة إنجاز العمل :

ــ أنا قربت أخلص ‥ ما فيش داعي ‥ جمايلك علينا كتير والله

فأكد سامي على القهوة وهو يصعد إلى غرفـــة نومـــه ‥ فقـــال الأوسطي حنفي مجاملا :

ــ ماشي يابيه ‥ ربنا ميحرمناش منك .

ثم صعد الصياد الماهر سامي إلى غرفة نومه ‥ وقد طلب مـــن عثمان إعداد فنجانين من القهوة وجلبهما عنده بغرفـــة النـــوم أولا ‥ وأكد على ذلك ‥ وبعد أن صنع عثمان القهوة ، كاد أن يخطئ خطـــأ عمره ‥ فأتى بقهوة سامي فقط ‥ ولما سأله عـــن قـــهوة حنفـــي ، أخبره أنها بالمطبخ فصاح ثائرا :

ــ أنت كبرت وخرفت يا عثمان ‥ مش قايلك هاتها هنا ؟‥

فتأسف عثمان وهو يهرول لجلب قهوة حنفي ‥ ومن ربكته نســى الماء ‥ فلما أتى بالقهوة ‥ أمره سامي بجلب الماء ساخرا :

ــ يظهر إنك عجزت فعلا ‥ أين الماء ؟‥

واستغل سامي غياب عثمان لجلب الماء فدس المخدر في قهوة حنفي ·· ولما جاء عثمان بالماء ، أمره سامي بتوصيل القهوة إلى حنفي وتبليغه أن يصعد إليه بعد أن يفرغ من شربها ··

وانصرف عثمان من عند حنفي ، وقد بلغ الأوامر ·· وبدأ حنفي يحتسى القهوة المخدرة ·· وما هي إلا لحظات حتى تمدد على أحد الكراتين الورقية السميكة ·· وطال انتظار سامي له وهو يعلم السبب فنادى عثمان الصامت ليسأله عن حنفي قائلا :

— هل حنفي غادر البيت ؟

— لا يا سعادة البيه ·· للساعة في البدروم

فأصطحبه سامي إلى البدروم ·· ربما حنفي قد أصابه مكروه فهو مريض بالقلب ·· هكذا أقنع سامي عثمان ·· فلما وصلا ·· وجدا حنفي ممددا في غيبوبة تامة ، وتسارع الخدم بالحضور فحملوه إلى غرفة الجراحة الجديدة ومدداه على سرير العمليات ·· ثم إنصرفوا ·· فما كان لهم أن يتدخلوا في عمله ·· وغلقت الأبواب ·· ثم حقن حنفي بالمخدر وانتظره فترة ·· حتى إرتدى سامي قفازه وبحيح صوته يتعالى ·· ثم إنقض على رأس حنفي فشجها من الخلف وإنتزع منها كامل المخ ووضعه بالقنينة الحافظة ·· دون أثر للدماء وخاط الشج ·· ونادى الخدم وأخبرهم أنه مات متأثرا بقلبه ·· ثم أمرهم بدفن الجثة بأحد أركان الحديقة ··وكتمان الخبر ·· كما أصدر سامي أمرا بتحذير قائلا لخدمه :

— اياكم ودخول أي فرد مهما كان لغرفة الجراحة الجديدة .

وأنفرد سامي بنفسه داخل غرفة الجراحة الجديدة ·· وعليه الآن أن يسرع بتركيب المخ الجديد قبل تلفه ، فأعد القنينة التي بها المخ

حتى تكون في متناول الأذرعة الميكانيكية ٠٠

وتمدد على سرير الجراحة بعد أن بدل ملاعته ٠٠ وحقـن نفسـه بمخدر قوى (البنج) في أماكن مختلفـه بـالرأس ٠٠ وشـغل جـهازه العجيب بأذرعته الميكانيكية ٠٠ فلما أحس الكمبيوتر بتمام التخديـر ٠٠ شجت الأذرعة رأس سامي من الخلـف للأمـام ٠٠ وتعـاملت هـذه الأذرعة الميكانيكية مع قطع الأعصاب ، بعد أن أحصت عدها بدقـه لا يصل إلى كفاءتها إنسان مهما كانت براعته ٠٠ كمـا أذابـت الطبقـة الزجاجية بنفس الدقة ٠٠ ولم تراق نقطة دم واحدة ٠٠ ثم حملت مـخ حنفي من القنينة بمنتهى الحرص ٠٠ ووضعته داخل جمجمة سامي ثـم شبكت الشعيرات العصبية والتي تعد بالملايين ٠٠ ولم تفلت منها واحدة والشاشة الإلكترونية تعرض كل العمل بـأدق التفـاصيل ٠٠ وتكتـب أرقاما ٠٠ سيفهمها سامي عندما يفيق من تخديره ٠٠ بينما الخدم نـاموا جميعا إلا عثمان فلم ينم حتى يطمئن على سامي ٠

أثناء الجراحة الميكانيكية لتركيب المخ داخل جمجمة سـامي ٠٠ قام الكمبيوتر بتخزين ذاكرة وخبرات عقل سامي في ذاكرته تلقائيـا ٠٠ ثم قامت الأزرعة بوضع مخ سامي الأصلي في القنينة الحافظة لإجـواء البحوث عليه فيما بعد ٠٠

الخطأ الذي إرتكبه الكمبيوتر أنه لم يبث ذاكرة سامي المختزنة فيـه إلى المخ الجديد الذي هو مخ حنفي ٠٠ والمركب حاليا داخل جمجمـة سامي ، والسبب في ذلك محمود ٠٠ وأصبح سامي الآن في غيبوبـة ، كم سيطول بقائه فيها ؟٠٠ الله وحده أعلم بمداها ٠٠

ومرت الأيام وعثمان لم يذق طعمـا للنـوم ٠٠ وإينـاس بحـب استطلاعها تحاول دخول الغرفة الجديدة ، فيمنعها عثمان قائلا :

ـ غير مسموح لأي أحد دخول الغرفة الجديدة ، فالدكتور سـامي

أمر بذلك .

أم سعيد زوجة الأوسطي حنفي ٠٠ تسكن بيتا متهالكا ومتباعد فـي القدم ٠٠ وقد تهاوت بعض أحجاره واستعملت درجا ٠٠ وينزوي فـي عطفة بحي الجمالية ، لتجاور الدراويش وخـدم المشـهد الحسـيني ، وأصحاب الحرف اليدوية العاملين بورش خان الخليلي والنجـارين ٠٠ والأرامل اللاتي وصلن لأرذل العمـر ، وهـن متشـحات بالسـواد ، ويشتغلن بالأعمال الحرة ٠٠ فيفترشن الأرض بجوار المشهد الحسـيني لبيع الدوم والمناديل الورقية والخردوات الفالصو والطبـل ومغريـات الأطفال البلاستيكية .

وفى البيت المقابل لأم سـعيد تسـكن أم كوثـر ٠٠ البدينـة ذات التضاريس المفجعة ٠٠ وتستطيع أن تراها سواء كانت داخل البيت مـن خلال النوافذ المفتوحة دائما ، ليلا أو نهارا ، صيفـا أو شـتاء ٠٠ أو تراها خارج البيت وهى تفترش الأرض وتتعرف عليـها مـن عـرى ساقيها في بلاهة ٠٠ ومن حولها الجيران ٠٠ في حفـل مسـتمر إمـا لصناعة المحشى ٠٠ أو لإنتزاع أوراق الملوخية ٠٠ أو لتقشير الكوسة فهي محبه جدا للأكل ٠٠ وتغار منها أم سعيد لكثرة طعامها وسـيطرتها الكاملة على البيت حتى زوجها الأوسطي بيومي النجار ٠٠ فهي تمتلكه كالخاتم بأحد أصابعها ٠٠ وتتمنى أم سعيد أن يكون لـها بعضـا مـن قدراتها ٠٠ ولذلك امتلأت كرها لحنفي وتتمنى غواره اليوم قبل الغـد وها هو قد غار فعلا ٠٠ وهى تعتقد بأنه سافر إلى إحدى الدول العربية وقد تمكنت من حجز عمل دائم ومربح بالقصر .

الفصل السابع

حينما إلتأمت شعيرات أعصاب المخ الجديد بالأعصاب الموجـــودة بنخاع سامي ·· ولازال سامي مرتديا الطاقية الألكترونية وممددا علــى سرير الجراحة في غيبوبة ·· شعر الكمبيوتر بهذا الإلتئام وكان يســجل بياناته ·· وفجأة دفع بكمية زائدة من الشحنة الكهربية لتسرى خــــلال شعيرات الأعصاب إلى أجزاء الجسم المختلفة فبدأ قلب سامي ينبـــض من جديد ·· وتتحرك أطرافه ·· وبدأ يشعر بصداع ·· والكمبيوتــر من جانبه يسكن آلامه ·· ثم يعود الصداع إذا ما حاول نزع الطاقيـــة فأدرك سامي أن بها سرا خطيرا ·· وبحب استطلاع كان ينظر إلـــى شاشة الكمبيوتر ·· وفجأة وجدها تومض وتطفئ ·· فـــأدرك أن بـــها خللا ·· ولما ذهب لإصلاحها أو غلقها ·· نزعت الطاقية عن رأســـه ولم يعد يشعر بصداع ·· فخرج من الغرفـــة إلـــى خـــارج البـــدروم يستجمع الأوراق السميكة ·· وينظف المكان وهو يحـــاول أن يتذكـــر فنجان القهوة ·· فلم يجده ثم همس في نفسه :

ــ يمكن عثمان خدها ··

وبجهد أكبر تذكر أن الدكتور وعده بالتوصيل ·· فــــي الســـيارة الفارهة إلى البيت بالجمالية ·· ثم نظر إلى ملابسه فوجد أنها تخـــص الدكتور ·· فأخذ يبحث عن حنفي في أركان البدروم ، وداخل غرفـــة الجراحة ·· ولكن دون جدوى ··فهمس في نفسه متسائلا :

ــ لازم الدكتور لقاني بردان بالليل لبسني الحاجات دى ؟·· طـــب أنا هاطلع أسأل عثمان··

وصعد إلى الصالون وهو ينادى :

ــ يا عثمان ··يا عثمان

فجاء عثمان مهرولا وهو يقول :

ــ نعم يا سعادة البيه ..

فإرتبك سامي الذي هو بعقل حنفي .. وأخذ يطالع حولــــه لعــل الدكتور بجواره أو من خلفه ولم يره .. ثم قال لعثمان :

ــ ما تتريقش على يا عثمان .. أنا والله لقيت الهدوم على كده .. أنا ما سرقتهاش .. طب فين الدكتور لا مؤاخذة علشان أسأله ؟..

فقال عثمان وهو مغمور في كامل الدهشة :

ــ المقام ليك يا سعادة البيه .. أنت الدكتور .

فقال سامي ساخرا :

ــ دكتور ايه يا راجل يا عجوز أنت .. شوف لي العربية توديــى الجمالية زي ما وعدني الدكتور .. أما بيت مجانين صحيح .

وعلى الفور أمر عثمان بتجهيز السيارة الفارهة لتنقل جسد ســامي بفكر حنفي إلى الجمالية .. ولما كان مرتديا الملابس .. نبهه عثمــان لأن يستبدل ملابسه .. ويتأسف لكل كلمة تخرج من فمه .

العقل البشرى هو المصدر الأساسي لسلوك الإنسان وتصرفاتـــه ، من خلال الخبرات المخزونة في المخ .. فلما استبدل سامي مخه بمــخ حنفي .. إنعكس هذا على سلوكه وتصرفاته .. لأن مخ حنفي يحتوى على خبرات تختلف عن خبرات سامي .. لذلك كان الجسد هو جســـد سامي بينما العقل هو عقل حنفي .

كانت إيناس تتمدد بجسدها المتناسق والمشع بالأنوثة ، بينما بيــلض

ساقيها يتسلل من خلال قميص نومها شديد الإحمرار وكأنها غارقة فـي بركة من الدماء ٠٠كم هي إمرأة جميلة ٠٠ طال إنتظارها لعودة سـلمي من السفر ٠٠ كما أخبروها أثناء رحلته بالقطار ٠٠ وهو الآن يدخـل عليها بشحمه ولحمه ولكن بفكر غير فكره ٠٠ فلما رآها على حالتـها تلك أغمض عينيه قائلا :

ــ دستور ٠٠ والله ماقصدى يا ست هانم ٠٠ عثمـان الله يخـرب بيته هو اللي قال لي أطلع ٠٠

ثم قاطعته بكل أنوثة :

ــ تعالى ٠٠ تعالى يا حبيب القلب ٠٠ مشتاقالك يا هراب ٠٠

فقال بلعثمة وهو ينظر حوله :

ــ أنا ؟ ٠٠ أنا يا ست ؟ ٠٠ أنتي مين الأول ؟ ٠٠ من يـوم مـا شربت فنجان القهوة وأنا إتلخبط حالي ٠٠

ثم نهضت من فوق السرير قفزا لتحضنه ٠٠ وهو يتلـوى منـها كمن يتصنع الإبتعاد ٠٠ بينما هي تتمسك بتلابيبه ٠٠ فيقول خائفا :

ــ يا نهار أسود لو شافتنى أم سعيد ؟٠٠ دى كانت تخـرب بيتـى والنبي الله لا يسيئك أبعدي عنى ٠٠

وغاضبة قالت إيناس متوعدة :

ــ أنا طول عمري أقول مرات حنفي الجربوعة دى ملهاش أمـان ولازم تنطرد من البيت ٠٠ بس لما أشوفها

. فيقول سامي بعقل حنفي مستعطفا :

ــ حرام عليكي يا ست هانم تقطعي رزقها ٠٠ دى غلبانة وبتجـوى على كوم عيال ٠٠ والنبي إدى لي هدومى خلينى أمشى الله يخليكى

ثم قالت وكأنها إكتشفت سرا خافيا :

ــ أقطع دراعى ٠٠ دى سحرالك ٠٠ وعملا لك عمل ٠

عجبا ٠٠ أهل القمة يعرفون السحر والعمل ؟! ٠٠ ثـــم أرادت أن تختبره وهى تفتح دولاب الملابس وتقول :

ــ الدولاب قدامك أهه خش شوف هدومك ٠٠ وروح لـــها خليـــها تنفعك .

ولما لم يجد ملابس حنفي ، أخذ طاقية من الصوف وكبســـها فـــي رأسه ٠٠ ومحاولا إيقاف سخريتها منه قال :

ــ والنبي ماتتريقيش على يا ست هانم ٠٠ إحنا ناس غلابة ٠٠ أنـــا عايز لبس الشغل ٠٠ الدنيا ليلت ٠٠ وعايز أروح وأم سعيد ها تقفـــل الباب وتبيتنى في الشارع .

وعلا صوتها لأول مرة على سامى ٠٠ وهى لا تعلم أنـــه بفكــر حنفى وكل الذي تعلمه أن أم سعيد استطاعت أن تجرجره خلفها بالسحر والعمل ٠٠ فخرجت عن شعورها وعن كل سلوك الأدب ٠٠ لتســتكمل سب أم سعيد قائلة :

ــ وكمان رايح لها الفاجرة بتاعت الرجالـــة ؟!٠٠ روح لـــها ٠٠ يمكن تجيب لك إيدز ٠٠

فقال سامى وقد جرحت مشاعره :

ـ أنتي كمان عارفة ٠٠ هو الدكتور ما بيتبلش في بقه فولـــة ؟!٠٠ أسترى عليها ربنا يستر عليكى ٠٠

ونزل سامى بفكر حنفى إلى الصالون ٠٠ وهو يردد في داخله :

ـ الله يسامحك تهزقينى كده وأنا رجل كبير ٠٠ مـــا أنـــا برضـــه السبب ٠٠ أدى جزاء اللي يسيب مراته ٠٠ يـــاريتنى ســـمعت كـــلام الدكتور ٠٠ أنا لازم أروح وأصالحها ٠٠

وركب سامى السيارة الفارهة بجانب السائق ٠٠ وهـــو متقوقعـــا منكمشا على نفسه ٠٠ ولم يعتاد الأوسطي سيد الســـائق ذلـــك فـــأمره سامى بأدب وخنوع :

ـ على الجمالية يا أوسطي ؟٠٠ أنت لا مؤاخذة ٠٠ إسمك إيه ؟

ـ محسوبك سيد يا سعادة البيه

وأنطلق سامى في حديث من طرف واحد :

ـ عاشت الأسامى يا أوسطي سيد ٠٠ والنبي بسرعة العيال قربـــت تنام ٠٠ أول مرة هاتعشى معاهم ٠٠ نفسي أجيب لهم كيلوا كبـــاب ٠٠ بس ما أخدتش حسابي من الدكتور ٠٠

ولم يتوانى السائق ٠٠ فتوقف عند أقرب حاتي وأشترى كيلويـــــن من الكباب البتلو المشوي على الفحم ووضعـــه بشـــنطة الســـيارة ٠٠ ففاجئه سامى بإعتراض على فعلته قائلا :

ـ لا ٠٠ هاته جنبي ٠٠ الشنطة تكون وسخه واللا حاجة ٠٠

فجلبه سيد إلى الخلفية في صمت خشية الإهانة ٠٠ ورائحة الكباب

تعبق بالمكان ٠٠ ووصلت السيارة إلى الجمالية وبصعوبـــة إخـــترقت الأزقة والعطفات حتى وصلت بيت حنفى ٠٠ وهبط منها سامى بفكـــر حنفى ولفة الكباب بيده ٠٠ وهو يرجو السائق أن يصنـــع لـــه جميـــلا ويأتيه في الغد ٠٠ ثم طرق الباب بعنف كالعائد إلى أهله مـــن الغربـــة على غرار ما كان يفعله حنفى ٠٠ وفتحـــت أم ســـعيد البـــاب لتفاجـــأ بالدكتور ٠٠ وبفرحة عارمة قالت :

ـــ خطوه عزيزة يا سى الدكتور ٠٠ دا إحنا زارنا النبي ٠٠

ثم حملت عنه لفة الكباب ٠٠ واستمرت في ترحيبـــها والســـعادة برائحة الكباب تغمرها :

ـــ ومكلف نفسك كده ليه ؟ والنبي ما لك حق ٠٠ خير ربنا كتـــير وأهو كله من خيرك يا دكتور ٠٠

وازدادت غيرة سامى الذي هو بفكر حنفى لتكرارها سيرة الدكتـور فنهرها وهو يخترق إلى الداخل كصاحب البيت ٠٠ ثـــم جلـــس علـــى الكنبة الإستانبولى ذات الغطاء المزركش بالورد العريض المشـــجر ٠٠ وسأل عن الأولاد ، وهو مسرور لعدم سماع صوتهم ٠٠ فقالت وهـــى ممتعصه :

ـــ الله يخرب بيته حنفى مترح ما راح ٠٠ هو أنا عارفة ألم عليـهم البنتين نايمين في البيوت اللي بيشتغلوا فيها ٠٠ وكل عيل نايم يـــاكبدى في ورشته ٠٠

ولم تستكمل حديثها عن الأحوال السيئة للبيت فقاطعها مبتسما بلغـة تفهمها الحريم قائلا :

ـــ يعنى أنتي لوحدك ؟!٠٠

فقالت بدلال:

ــ دلوقت بس رماك الشوق وعرفت قيمتي هنا في عش الفراخ ٠٠ ما إحنا كنا في القصر ٠٠

وأدرك سامي وهو بفكر حنفي أنها لانت وصفيت نيتها نحــوه ٠٠ حينما شمت ريحة الكباب فقال بسره :

ــ شوف النسوان بأقل حاجة تقدر تاخد منها كل حاجة ٠٠ صحيــح مالهمش أمان .

ثم إقترب منها ، ووضع يده على ظهرها ، وأخذ يربت عليه ، ثــم قام لينقض عليها معانقا ومحتضنا يريد مضاجعتها ٠٠ فهي زوجته ٠٠ حسب ما يمليه عليه عقله ٠٠ وهى تتمنع محاولة التباعد وتقول :

ــ لا ٠٠ لا يا دكتور ٠٠ لازم في الحلال ٠٠

ثم يختلس منها القبلات ويهمس في أذنيها قائلا :

ــ حلال إيه يا وليه ؟٠٠ هو فيه حلال أحسن من كده ؟٠

ــ الجواز ٠٠لازم نتجوز ٠٠(ثم مصمصت شفتيها) شوفي يــلختى الراجل ٠٠مهبول عليه قد إيه ؟! ٠٠

ــ نتجوز ؟٠٠ طب ما تيجى نتجوز جوه في الأوضة ٠٠

ــ لا ٠٠ نتجوز عند المأذون ٠٠

ــ تانى٠٠طب ما إحنا إتجوزنا عنده من زمان٠٠إحنا ها نعيده ؟!

ــ إمتى رحنا له يا سى الدكتور ؟! ٠٠

ثم إنتبهت قائلة :

ــ هو أنت شارب واللا حكايتك إيه ؟! •• ما أنا كنت حطالك أحمـو وأخضر في القصر •• نفسك ما إتفتحتش إلا هنا ؟! ••

ثم إشتدت به الغيرة •• وشعر أنها كادت لتخونـــه مـــع الدكتـــور سامى •• فتباعد عنها سابا بأرذل أنواع السباب ••

ــ برضه بتقول لي دكتور •• أنتي يا وليه شايفانى معلق ســـماعة واللا لابس بالطو •• واللا فلوس الدكتور لحست مخك ؟ •• صحيـــح ديل الكلب عمره ما يتعدل •• شوفي لي الجلبية خلينـــى أروح القـــهوة أشرب حجرين ••

ثم إرتدى جلباب حنفى •• وشبشبه البلاستيكي ، ثـــم أخـــذ منـــها عشرة جنيهات •• ودهش عندما لم تعارضه على هذا المبلغ كعادتـــــها فقالت وهى يائسة لعدم تناوله الأكل معها :

ــ طب كل لك لقمة ••• الكباب سخن ••

فلم يعرها أدنى اهتمام •• ثم خرج إلى القهوة التي يجتمـــع فيـــها أصحاب الحرف إما للترفيه أو للإتفاق على الأعمال •• فقـــال ســـامى بعقل حنفى محذرا وهو بجوار الباب :

ــ إياك تاكلى الكباب كله •• أما أرجع هبقى أطفح •

أصبح سامى الآن بشخصية حنفى •• سلوكا وتصرفا •• ولكنـــه لم يدرك من هم أصدقاء القهوة ؟•• ولا يتذكر حتى أسمائهم ؟•• ترى هل هم يعيشون بذاكرتهم وسيتذكرهم عندمـــا يراهـــم ؟ •• أم محـــت الجراحة هذه الصحبة من مركز تجمع الخبرات في المخ ؟•• ولكنـــه تذكر بيته في الجمالية •• وتذكر أيضـــا زوجتـــه وأولاده •• ربمـــا

يكونوا هم الأقرب إلى الذاكرة ·· عموما سندرس سلوكه بالقـــهوة ·· ونعرف إن كانت الجراحة بنقل مخ جديد قد أثرت على الذاكرة أم لا ؟

سلك سامى بعقل حنفى العطفات والدروب ، ولم ينسى أن يضـــع أذنه على شباك أم كوثر ليسمع شيئا ما يشجيه ، فتلك الأشياء محفـــورة بالذاكرة ، وغير قابلة للمحو ·· حتى وصل إلى القهوة وجلـــس فـــي مكانه المفضل الذي خلا له ·· ونادى صبى القهوة وهو يعتصر ذهنـــه ليتذكر إسمه دون جدوى ·· فصفق بيديه النـــاعمتين ليقـف الصبـــي بجلبابه المقلم وقطعة الطبشور بأذنه أمامه فطلب الشاي والبـــوري ·· وشاور بيديه للصبي ليميل عليه ·· فهمس قائلا :

ــ وعايز حجرين بربع قرش هبو ··

فرد الصبي ناكرا :

ــ يا أوسطي ما بنشتغلش في الحاجات دى كل اللـــي هنـــا شـــاي وقهوة وينسون وحلبه ومعسل ·· طلبك مش هنا

فقال سامى بعقل حنفى مؤكدا :

ــ ياد ·· ده أنا زبون القهوة وليلاتى هنا

فقال الصبي :

ــ زباينا عارفينهم كويس وأنا عمري ما شفتك قبل كده ··

وانتبه الزبائن المجاورة له فقال أحدهم :

ــ والله الراجل ده مباحث ··

وقال صوت أخر :

ـ سك ياد يا جلجل على الطلبات ..

حيث كانت الطلبات عبـــارة عــن حجـــارة المعســـل ، المحشـــو بالحشيش والأفيون . وأيقن الصبي جلجل ، أن ذكائه نـــادر لإكتشـــافه المباحث .. فذهب ليخبر المعلم .. وجاء المعلم وجلس إلـــى جـــوار سامى بعقل حنفى فسأله :

ـ لا مؤاخذة يا حضرة .. أنت منين ؟.. وبتشتغل ايه ؟

فرد سامى بعقل حنفى وكأنه أمام وكيل النيابة :

ـ أنا من الجمالية .. ولو مش مصدق .. تعالى أوريلك البيت يـــا معلم دانا صنايعى محارة .. وعايز لا مؤاخذة أعمل دماغ .

ـ صنايعى محارة ايه وأنت أيدك ناعمة ؟.. أنت ها تعملهم عليـــه إذا كنت مباحث .. إحنا سمعتنا ذي البرلنت .. شوف لك لا مؤاخـــذة قهوة تانية ، وضب دماغك فيها يا أخويا ..

ـ مباحث ايه وبتاع ايه .. أنا الأوسطي حنفى أبو الرؤوس

وأستمر الجدل حتى إقتنع المعلم فأمر الصبي بتجهيز طلب ســـامى بعقل حنفى ، وبقية الطلبات .. وأخذ يشد الأنفاس تلو الأنفـــاس حتـــى دارت رأسه .. فجسده ودمه لم يتعودا على هذا الصنف من المكيفـــات ثم غادر القهوة إلى بيت زوجة حنفى ولم يتعرف على أصدقاء القـــهوة إذن العقل غير كامل الذاكرة .. فقد تعرف على أشياء ونسى أشياء .

عندما دخل البيت ، وجد أم سعيد زوجة حنفى جالسة وهى مســتندة بظهرها على جانب الكنبة الأمامي ، المقابل لمدخل الشـــقة ، وممـــددة بساقيها على سجادة صنعت من قصاقيص القماش .. وهى فضـــــلات يمكن شرائها من أي ترزي .. وتلتحف ببطانية رمادية .. وتفكر فيـم

آل إليه حال الدكتور ٠٠ فتسأل نفسها وتحاول الإجابة جاهدة ٠٠ لماذا يتصرف بتصرفات زوجها ؟٠٠ هل حنفى قبل سفره للعمل بالخارج سقى الدكتور شيئا مؤذيا ٠٠ أو صنع له عملا عند دراويش الحي ؟٠٠ لماذا هو مقتنع بأنها زوجته ؟٠٠ لماذا يهجر قصره ليعيش معها داخل هذا الجحر البالي ؟٠٠ وتاهت في مئات الأسئلة ٠٠

وبينما هي كذلك في هذه الحيرة وإذا بسامي بعقل حنفى ، يطرق الباب بعنف ، فإنتفضت لفتح الباب ٠٠ وإذا به يدخل مترنحا ليهوى على الكنبة ويسألها عن الكباب ٠٠ فجاءت باللفة مغلقه ولم تكن فتحتها من قبل ٠٠ أو أكلت منها شيئا ٠٠

هو أنتي ما أكلتيش ؟٠٠ أقعدي كلى ٠٠ ما حدش واخد من الدنيا حاجة ٠٠ من ساعة ما شربت القهوة هناك في القصر وأنا الدنيا متلخبطه معايا ٠٠

فصرخت بشهقة :

ـ يا نهار أسود اللي حسبته لقيته ٠٠ يبقى هو عملك عمل الدون الجبان وحطهولك في القهوة ٠٠

وبحيرة قالت بصوت منخفض وكأنها تحدث نفسها :

ـ أروح فين في نصاص الليالي يا أختي أفك هولك ٠٠ بكره من الفجرية أروح للشيخ الجلالى .

وبينما هي تحدث نفسها وتدبر ما ستصنعه بالغد ، مزقت قطعة من ملابس سامى ، لتذهب بها إلى الشيخ الجلالى في الصباح ، تاه سامى في نوم عميق ، ولم ينقص من لفة الكباب إلا قطع قليلة ٠٠ ثم غطته بالبطانية الرمادية الميري ٠٠ ودخلت هي غرفتها لتنام ، بعد أن

قبلته في جبينه كالطفل البرىء٠٠

وفى الصباح الباكر ٠٠ والضباب ينقشع بسطوع شمسه الدافئة كانت السيارة الفارهة تقف بالخارج ونفيرها يدوي بالحارة ٠٠ بينما سكان العطفة ومن بينهم أم كوثر ، ينظرون من النوافذ ، على السيارة الفارهة وقد أزعجها صوت (الكلاكس) ٠٠ وتتساءل عن سبب وجود هذه السيارة ٠٠ وفى هذه الساعة ٠٠ وأمام بيت حنفى بالذات ٠٠ ويقول البعض يمكن ربنا فتح عليه بشغلانة كبيرة ٠٠ وهذه سيارة صاحب العمل ٠٠ وتعالت الأصوات الحاسدة ٠

واستيقظت أم سعيد على صوت النفير ٠٠ فخرجت من غرفة النوم إلى الكنبة التي ينام عليها سامى بعقل حنفى لتوقظه ، وهى تلملم لفة الكباب ٠٠ ثم أخبرته أن السيارة بالخارج ، تنتظره للعمل ٠٠ فصاح مهددا بأنه لن يحقق رغبتها :

ــ أنا مش ها أتنقل من هنا ، إلا لما أخد البياته .

ــ سلامتك يا دكتور ٠٠ دي عربيتك ٠

ــ برضه ناويه تعكنن عليه ٠٠ طب أديني أنتي البياته ٠٠٠٠

وبعد جدال خرج إلى السيارة فوجد السائق بإنتظاره ، فنظر إلى السكان ولمح من بينهم أم كوثر ، فرماها بنظرة شرهة ٠٠ ثم قال :

ــ أنا جايلك بالليل يا حلاوة

فإندهشت أم كوثر وقالت :

ــ غريبة ٠٠ زي ما يكون صوت حنفى ، يخيبه ٠٠ إتلمت عليه منين أم سعيد .

وقال صوت حاسد :

ــ كان بايت عندها ليلة إمبارح ٠٠ كان بيعمل إيه ؟٠٠ ربنا يستر على ولاياه .

ثم لوحت بيديها وكأنها تعرفه ٠٠ فركب دون أن ينطق ببنت شفه وبهيئته دون أن يغتسل ، والطاقية الصوف تغطي رأسه ٠٠ إنطلقت السيارة إلى القصر ٠٠ وأستقبله عثمان وهو مبتئس لحاله ، فإقتاده بالتشريفة حتى الصالون الفخم ليجد في إنتظاره الدكتور هشام والمهندس محمود ، وقد أبلغهم عثمان بحال سامى ٠٠ فلما رأوه هالهم سوء المنظر الذي تغلف به سامى بعقل حنفى ٠٠ كما أفزعتهم نبرات صوته وبحيحه ٠٠ فمال محمود على هشام ليخبره ما ظن به قائلا :

ــ الراجل ده ذكى جدا ٠٠ أخشى أنه يفتعل هذا ليكتشف نوايانا ٠

ولكن هشام إعترض على هذا الرأي مقترحا إقتراحا أخر وهو يهمس في أذن محمود :

ــ لا ٠٠ يمكن إختزل عن طريق الخطأ ذاكرة حنفى بواسطة الكمبيوتر ، في إحدى تجاربه ٠

ثم نما إلى ذهنه سؤال لمحمود فقال :

ــ أنت ألغيت شفرة الإرجاع الذاتي من ذاكرة الكمبيوتر؟

فقال محمود وكأنه يتذكر :

ــ لا ٠٠ تفتكر يكون ده السبب ؟

فقال هشام :

ـ ما فيش سبب غيره .

ثم إستقبلاه على أنه حنفى ٠٠ واستدرجاه إلى الكمبيوتر للكشـــف عليه لمعرفة الأسباب الحقيقية ٠٠ ولن يمنعهم عثمان فمعـــهم ســامى الذي هو بعقل حنفى ٠٠ وهبط الثلاثة إلى البــدروم ٠٠ وعندمـــا رأى سامى بعقل حنفى الطاقيات الألكترونية قال متذكرا :

ـ آه أنا شربت القهوة ٠٠ ولبست واحدة من دول ٠٠ ومن ساعتها وأنا حالتي متلخبطة ٠٠ وناسي حاجات كتير يا دكتور هشام .

فقال هشام :

ـ أنت ها تلبس واحدة من دول تانى ٠٠ وها تبقى عال العال .

وعندما شرع هشام في وضع الطاقية على رأس سامى بعقل حنفـى إكتشف جرحا ملتئما من جهة الخلف ٠٠ فسرعان ما إرتدى الأخـــرى ومحمود يدير الجهاز العجيب ٠٠ فأظهرت الشاشة حالة عقــل ســامى الجديد رقميا ٠٠ وأدرك هشام أن الدكتور ســــامى أجــرى الجراحـــة وركب مخ حنفى بواسطة الكمبيوتر ٠٠ وهو الآن يتصرف بعقل حنفـى كما أدرك أن محمود إرتكب جرما ، عندمـــا شــفر الإرجـــاع الذاتـــي للذاكرة من خلال الكمبيوتر ٠٠ ولذا فمحمود غـــير مـــأمون الجـــانب ويجب الحذر منه ٠٠ فمن الممكن أن يؤذى هشام دون أن يدرى ٠٠

ثم سأل نفسه :

إذا كان سامى إنتزع مخ حنفى ٠٠ فلابد أن يكون حنفى في عـــداد الموتى ٠٠ فأين جثته الآن ؟ .

بدأ الشك يدب في عقل هشام نحو محمود ٠٠ ومحمود من جانبـــه يستطلع ذلك ويكن في نفسه شيئا ما ٠٠ والضحية سامى بعقـــل حنفـــى

تائه في صداعه ٠٠ والصفير الذي بأذنه ٠٠ لقد قام محمود بسحب كل ذاكرة سامى ٠٠ وهو الآن يحاول جاهدا فك شفرة الجهاز العجيب ٠٠ حتى يتمكن من إرجاع ذاكرة سامى الأصلية المختزنة في ذلك الجهاز وقد علم محمود بوجودها ٠٠ ولكنها محجوبة بتلك الشفرة ٠٠ بينما هشام يزداد شكه ٠٠ وفى لحظة معينة خلع هشام الطاقية وأغلق الجهاز بعصبية ٠٠ ويصيح في محمود قائلا :

ــ معقول لسه ناسي الشفرة ؟٠٠ نفسي أفهم أنت بتفكر في إيه ؟

لقد بدأ الغريمان يتشاجران ويفضح كل منهما الأخر ٠٠ ويزداد الشك في قلبيهما ٠٠ وسامي أصبح فاقدا للذاكرة ومجهول الهوية ٠٠ كل الذي يعلمه ٠٠ هو الغرفة الجديدة للعمليات ومحتوياتها دون أدنى معلومة عنها وعن تشغيلها ٠٠ ويتصرف كطفل في مهده ٠٠ حتى أنه لا يعرف حروف الكلام أو معاني اللغة ٠٠ فبدا لهما أبكما لا يستطيع النطق لكنه يسمع ويرى جيدا ٠٠ كما كانت تصدر منه إيماءات طفولية

ونسيا مشاكلهما وفضائحهما ٠٠ وأنتبها لحالة سامى وعلاج الكمبيوتر ٠٠ فقال هشام والحيرة تتملكه :

ــ ماذا سنفعل يا أبو العريف ؟٠٠ الحمد لله إن الكمبيوتر مامسحش من المخ ذاكرة تشغيل أعضاء الجسم الداخلية ، زي القلب والرئة ٠٠ كان سامى مات في الحال ٠٠

فقال محمود بيأس :

ــ الكمبيوتر بتاعنا ما يقدرش يدخل على هذا النوع من الذاكرة ٠٠

ثم بدرت إلى محمود فكرة طارئة ، سرعان ما عرضها على هشام قائلا :

ـــ ايه رأيك ٠٠ ننسخ ذاكرتك ونثبتها داخل عقل سامى مؤقتا .

فتعجب هشام وكأنه صدق حدثه ٠٠ فقال بحذر :

ـــ طب وأنا ؟

فقال محمود مقنعا :

ـــ أنت مش ها يحصل لك حاجة٠٠أنا بس ها أعمل نسخة تانية .

فقال هشام ناهيا :

ـــ لا أنا ما أضمنكش

ثم رفع حاجبيه وطأطأ برأسه ٠٠ ثم استكمل حديثه :

ـــ لازم تعمل حاجة ٠٠ هنروح كلنا في داهية ٠٠ كل اللـــي فـــي المستشفى بيسألوا عن الدكتور وغيابه ٠٠ مش معقول ها أفضل أكـذب وأقول مسافر كل دة ٠٠

وسادت فترة صمت بينهم ٠٠ بينما سامي في غيبوبة ٠٠ وفجـــأة قطع محمود هذا السكون قائلا :

ـــ يجب إستدعاء الخبير الياباني .

فقال هشام بعصبية حادة :

ـــ أنت لسه ها تستنى الخبير ؟ ٠

ثم حمل سامى مفقود الذاكرة إلى غرفة نومه ٠٠ ثم أعطاه هشـــام محاليلا بالحقن ، وبعض الفيتامينات ومنوما قويا ٠٠ وأمر عثمان بعـدم زيارة أو إقتراب أي شخص من غرفته ٠٠ ليغط في نوم عميق بشـخير

عالي وملابس حنفى ٠٠

وسأل هشام عثمان بخبث :

ــ هو حنفى بطل ييجى ولا إيه ؟

فأجاب عثمان بذكاء أشد :

ــ لا يا هشام بيه٠٠من ساعة ما أخد حسابه٠٠بطل ييجى تانى .

فقال هشام في سره :

ــ آه يا عصابة ٠٠ يا أولاد ال (٠٠٠٠)

في هذه الأثناء إتصلت زوجة هشام تليفونيا ، عندما كـــان هشـــام ومحمود يهبطان الدرج وهما في حديث جانبي غير منقطع وتغلب عليـه الحدة ٠٠ فهرول عثمان ورفع السماعة ٠٠ وبعد أن عرف المتكلـــم ، وضعها جانبا ، ليبلغ هشام قائلا:

ــ الهانم على التليفون يا هشام بيه .

فأسرع هشام من خطاه ليتقدم محمود ثم قال وهو ينظر خلفه :

ــ لا ٠٠ ما تمشيش دلوقت ٠٠ ها أخلــص المكالمــة بســرعة ، ونشوف حل للمصيبة دى ٠٠

ووضع السماعة على أذنه٠٠وحاول أن يتكلم بلهجة طبيعية قائلا :

ــ أيوه يا ثناء ٠٠ في حاجة ؟٠٠

وبعد فترة قصيرة قال مرتبكا :

ــ نيابة ؟

وتغيرت لهجة هشام وتلعثم حديثه وزوجته تقول :

ــ والبوليس ٠٠ والدنيا مقلوبـــة فـــي المستشـــفى ٠٠ وعـــايزينك ضروري

لقد إرتبك كل منهما نتيجة هذه المكالمة ، وحاول هشام أن يتماسـك ثم بلهجة آمره قال لمحمود :

ــ أنت تنزل حالا للجهاز الزفت ده ٠٠ وتشوف لك صرفه معـــــاه بلاش الحكاية تكبر ٠٠ وأنا هروح المستشفى أشوف في إيه ٠٠

وطأطأ محمود رأسه بالموافقة ٠٠ فمن المؤكد الآن ٠٠ أن هنـــاك العديد من المصائب إرتكبوها معا ٠٠ ولا يحتاج الموقف لمزيـــد مـــن العناد ٠٠ وها هي الأمور تزداد سوءا ٠٠ فقد تغرق المركـــب بـــهما ويخسرا الكثير ٠٠ لذا يجب أن يتكاتفا لمواجهة هذا الطوفان .

وذهب هشام إلى المستشفى متمنيا أن تخسف به الأرض وتبتلعـــه قبل أن يصلها ٠٠ بينما محمود بالبدروم يبذل قصــــارى جـــهده لفـــك الشفرة ٠٠ وانكشف أمره بالصدفة البحتة ٠٠ عندما تم القبـــض علـــى أجنبي يحمل حقيبة يد معلقه علـــى كتفـــه ، وأتضـــح وأنـــه الطبيـــب السويسري ٠٠ وبينما كان يستخرج جواز سفره سقطت منه قنينة بـــــها سائل لزج وتحتوى على كليه آدمية ٠٠ ومنزوعة حديثا ٠٠ وبســـؤاله بواسطة أمن المطار ٠٠ اعترف بكل التفاصيل ٠٠ وتم عمل محضـــــر بالواقعة والقبض على الجناة ٠٠

وحينما وصل وجد سيارات الشرطة تحيط بالمستشـــفى مـــن كـــل جانب ، بينما العسكر المدججين بالسلاح فـــــي وضـــع الاســـتعداد ٠٠

مرشقون هنا وهناك ، ووقف لبرهـــة مختلســا النظــرات محـــاولا أن يتماسك على الرغم من حجم الخوف والرهبة اللتان تملكانــــه ، وبثقـــة مصطنعة إخترق صفوف العسكر ليتقابل في مكتبه مع ضباط المبـــاحث ووكيل النيابة ٠٠ ودار حوارا ما أطوله من السينات والجيمات بعدهــــا تم القبض على هشام في جريمة فريدة من نوعها ٠٠ وهى القتل العمــد مع تهريب أعضاء بشريه مع عملاء بالخارج ٠٠ ولم يـــدرى أي مـــن محمود أو زوجة هشام بالأمر .

كما أمر وكيل النيابة بإعادة تشريح جثـــث المستشـــفى ، لإثبـــات الحقيقة وتوجيه هذه التهم إلى هشام والمشتركين معه في هذه الجريمـــة الشنعاء ، سواء من كانوا داخل مصر ، أو من كانوا خارجها ، حالمــــا يتم القبض عليهم عن طريق البوليس الدولي (الإنتربول) ٠

فلما وجد هشام نفسه في مأزق لم يحسد عليه ٠٠ اســـتأذن وكيـــل النيابة ليأخذ بعض حاجياته من مكتبه ثم يذهب معهم بعد ذلك إلى قســـم قصر النيل ، لإحتجازه على ذمة التحقيق ٠٠ وعلى حيـــن غـــرة مـــن البوليس إختلس محقنه وأودع فيها مادة شديدة السمومة ، وهي ســـيانيد البوتاسيوم وحقن نفسه بها ٠٠ وما هي إلا لحظات حتى أصبـــح فـــي عداد الموتى ٠٠ تاركا الشرطة في حيرة للبحث عـــن بقيـــة أعضـــاء الشبكة ٠٠٠

ومرت الساعات الطوال ومحمود بالقصر ، منكب على عملـه دون يأس ٠٠ وعند بزوغ الفجر توصل إلى فك شفرة الجهاز العجيـــب ٠٠ وأصبح باستطاعته شحن الذاكرة ذاتيا ٠٠ فتملكت محمود سعادة غامرة نسي على أثرها الإطمئنان على هشام ٠٠ ثم ذهب إلى ســـامى الأبكـــم الذي لا يستطيع التعبير عن آلامه ، وهو يرقد على سريره في غرفـــة نومه ٠٠ وكل الذي يصدر منه ، هو أنين طفولى بصوت خشن متقطـــع وبمساعدة الخدم حمله لتوصيله إلى البدروم كمن يحمل طفـــلا ضخمـــا

إلى غرفة العمليات الجديدة ٠٠ وسيعمل محمود على إرجـاع ذاكرتـه فهو الوحيد الذي يمكن أن تجرى عليه تجربة فك شفرة الكمبيوتر ٠٠

وارتدى محمود إحدى الطاقيتين الألكترونية ، ثم رفع رأس سـامي وألبسه الأخرى ، وبدأ محمود يداعب مفـاتيح اللوحـة الألكترونيـة ، وأخذت الشحنات الكهربية تسري إلى مخ سامى حاملـة فـي طياتـها ذاكرته المفقودة ٠٠

بينما ــ وبطريقة لا إرادية ــ أخذ الكمبيوتر يسحب الذاكرة مـن مخ محمود ويبث مكانها شحنات كهربية بكميات هائلة ، وهو يصـرخ ، بينما جسده يهتز بعنف ، ولا أحد من الداخل يستطيع الدخول ، فقد كان الباب موصدا من الداخل بإحكام بالغ ، وأخيرا دوت صرخـة عاليـة ، ظل صداها لفترة غير قصيرة ، ليرقد محمود بعدها في صمـت أبـدي ويعم السكون بالمكان ٠٠ لقد لقى محمود حتفه ، بعد أن تفحـم مخـه وخرج الدخان من رأسه ٠

وبعد فترة سكون عاشها سامي في غيبوبة ، نهض مـن كرسـيه الضخم ، يفرك في عينيه ويمدد في عضلاته بهيئته البهية التـي كـان عليها بالمؤتمر ، والجميع من حوله ، برنارد وسميث ويوكـاوا هيتـو وايان إيفرتون وبيار مارلون وهنرى شميدت وهشام والخدم ، وكلـهم يصفقون لنجاح جهازه العجيب في التشـخيص وبيـان حالـة ونـوع الإرهاق الذي لحق بالدكتور سامى حسنى بعد انتـهاء آخـر جلسـات المؤتمر ٠٠

لقد أعلن الجهاز أن الدكتور سامى خالي من أي أمراض عضويـة بالقلب أو المخ ، وأن ما ألم به هو وهم ، داهمه أثناء تلـك الغيبوبـة ، عندما تسربت إلى مخه كمه كهربية ٠٠

لقد كان الدكتور سامى في كابوس وهو تحـت جـهاز الكمبيوتـر

العجيب أثناء الفحص وتشخيص حالة الإرهاق التي انتابتـــه ، فصمـــم على أن يجرب الجهاز عليه أولا قبل تعميمه ...

وأغلب الظن أنه تعلم درسا لن ينساه .

تمت

الرواية الثانية

مجذوب الجمالية

الفصل الأول

في أحد البيوت الحجرية القديمة التي تعبق برائحة التاريخ من بيــن جدرانها المتهاوية ، ذات المشربيات الخشبية ، والشرفات الغير مستوية التي تتسع مساحتها لموطئ قدم واحدة ٠٠ وقد تحلى مدخلــها الواســع بطبقات من الأحجار الساقطة من البيت لتصنع درجاً للخارج منه إلــى الشارع ٠٠ أو تستعمل كمقاعد لغرفة استقبال كأنك في أحد المســارح الرومانية القديمة ٠٠ كما أن للأحجار استخدام آخر ، حينمــا تــرص أعداداً منها بالجوار فتصنع سريراً لعابري السبيل ٠٠ أما الساكن فــهو امرأة بلغت من العمر مثلما بلغ البيت أو أقل قليلاً ٠٠ فربما تكـون أول من سكنه عندما كانت صبية ٠٠ وشهد البيت عند إنشــائه زفافــها ٠٠ كما لا ندرى في أي عصر من العصور كان هذا الزفاف ؟٠٠ ولأنــها تسكن إحدى غرفه ٠٠ ففيها تأكل وتشرب وتنــام وتســتحم وتقضــي حاجتها أحياناً ٠٠ كما أنها لا تعرف تعدديـــة الألــوان ٠٠ كـل مــا تستخدمه من الألوان هو اللون الأسود فقــط ٠٠ جلبابــها وطرحتــها ومنديل رأسها حتى عقده المنفوشة ٠٠ ولا يوجد شئ أبيــض عندهــا سوى خصلات شعرها المصبوغ بعضها بالحنــاء القاتمــة ٠٠ حينمــا تفركه أو تهرشه بكفها المصبوغ بلون الحناء ٠٠ والأمور عندها سـواء فلا تعرفها إن كانت تبكى أو تضحك ٠٠ ففي كلتــا الحــالتين تنســاب الدموع الممزوجة بالكحل بين تجاعيد جلد وجهها حتــى تصــل إلــى فتحات أنفها الواسعة ٠٠ أو تتساقط داخل فمها من بين ثنيــات الشــفاه التي تضم هتماً بالغ التصور ، إلا من ناب واحد أيسر علــوي يرســى على سنتين ٠٠ تستخدمهم لتمزيق اللحم إن وجد .

تلك هي أم حسين العجوز النحيفة الشــمطاء ٠٠ ســيدة الأعمــال الحرة والتجارة البائرة ، حينما تفترش الأرض صباحاً بحزمـــة باليــة صفراء تضع عليها حبيبات الـــدوم وبعــض الخــردوات البلاســتيكية

(الفالصو) ٠٠ وتعود بنفس البضاعة ليلاً في صرة من القماش البـالي ، كما تكتنز بعضاً من العملات المعدنية الممزوجة بالورقية في قطعة مـن القماش الأبيض المربوط جيداً تحت إبطها ٠٠ ويمكن أن تلحظه كبروز ناتئ حينما تستند بظهرها على جدار المشهد الحسيني .

أم حسين لم تنجب ٠٠ ولكنها تتبنى طفلاً هو الآن فـي الأربعيـن من عمره ٠٠ وهو أقل ذكاءً من الطفل الرضيع ٠٠ وإذا سألتها عـن عمره فلا تعرف متى تلقفته ضالاً بين الأزقة . كما لا تعرف كم عمـره الآن ٠٠ كل ما تعرفه أنه بركة ٠٠ ودرويشاً من زمرة الأوليـاء ٠٠. وأطلقت عليه اسماً لترويضه ٠٠ كمن تروض حيوانـاً فتجـبره علـى الإدراك والاستجابة لأمر ما من خلال صفـير معيـن ٠٠ أو إشـارة مميزه ٠٠ هكذا حسين لا يدرك غير إشارات اليد وهى تعبر عن ندائـه أو عوائه ٠٠ كما أن لفظة الصوت (حسين) تعنى بالنسبة له أن ينتبـه لحدث ما ٠٠ إما للطعام ٠٠ أو للمأوى كالمبيت أو لإخراج نفاية جسـده حينما يشعر بذلك ٠٠ فتراه هائماً نهاراً بجـوار المشـهد الحسـيني أو جالساً بجوار أم حسين يتلقى الاستحسان ٠٠ وهو لا يدرى ماذا يعطيـه أصحاب القلوب الرحيمة ٠٠ فإذا تناول نقداً يشمه أولاً ٠٠ ثم يعطيـه لأم حسين ٠٠ أما إذا كان طعاماً ٠٠ فيتقاسمه معـها وينـهال علـى نصيبه بنهم ٠٠ ولا يستطيع أي شخص الاقتراب منه أو انتزاع إحـدى لقيماته فتراه كالوحش الكاسر حينما يحتاط بالفريسة .

حسين لا يشعر بالبرد أو الحر ٠٠ وله رائحة ممـيزة ومنفـرة ، حينما تبلغ حدتها ٠٠ تنفرد به أم حسين لتغسله ٠٠ فيبدو لوجهه وسامة مقبولة ٠٠ إلا من شعيرات الفطرة وهى متناثرة بكامل ذقنـه وشـاربه وشعر رأسه الأشعث ٠٠ ثم يرتدى البيجامـا الكسـتور المقلمـة ٠٠ وينتحل نعله البلاستيكي .

لم يفكر في حياته قط ·· ولم يستطع أن يستخدم عقله ·· وإنمـــا له ذكاء غريزي فقط كالحيوانات ·· لا يصنف إلا الطعام ونوعه فقــط أما غير ذلك فنتج من ترويض أم حسين له ·· وأم حسين لا تتكســـب معيشتها إلا من خلاله .

وذات مرة اختطفته إحدى العصابات الخاصة بالشحاتين لتوظيفــه ، فهو بالنسبة لهم مصدر رزق رغد ·· وبعد أن أدركت إمكانياته العقلية انهالت علية ضرباً ليعود إلى ذاكرته ويتعـــاون معـــهم ، ولكـــن دون جدوى ، ثم تركته يهرب .

وأثناء غيابه أغلقت أم حسين تجارتها ، وأخذت تبحث عنه في كـل مكان ، فبماذا تعود عليها التجارة ·· إنه ثروتها ·· وبفقدانه فقدت كل شئ ·· من سينام على الحجارة في مدخل البيت ليؤمنه ، حينما تنـــام هي بغرفتها وقد خلا عليها البيت؟ الناس تشعر أنه عديـــم الفـــائدة ·· ولكنه بالنسبة لها هو كل شئ ولذلك أخذت تولول عليـــه كمـــن مـــات زوجها ·· وبصوتها الحاد (السرساع) وقد اختلطت حروفه الخارجـــة من الضبة الهتمى فتقول :

ــ يجعل يومي قبل يومك ·· يا سبعي ·· يا ضبعي ·· ألاقيـــك فين تانى يا حسين .

وأولاد الحلال كثير ·· مثل أولاد الحـــرام ·· فـــي مثـــل هـــذه الأزمات تجد المجتمعات على جميع أشكالها وأنماطها تنقسم إلى ثلاثـــة أقسام ·· أولاد حلال ·· وأولاد حرام ·· ومحايدين فأولاد الحـــلال مثلاً ·· منهم الذي يواسى أم حسين ويطيب خاطرها بالأمل في عودته ومنهم من كان يبحث في المستشفيات وأقســـام البوليـــس والحـــواري والميادين ·· لعله آوى إلى أي من هذه الأماكن ، ظناً بأنـــه لا يـــدرك طبيعة المأوى .

أما أولاد الحرام٠٠فمنهم من كان يؤذيها بكلماته٠٠كمن يقول :

ـــ يمكن ربنا خده ٠٠ واتفرم تحت عجل أي عربية .

ومنهم من يقول :

ـــ يا وليه روحي شوفي لك تربة قبل ما تغلا .

ومنهم من يقول :

ـــ بدوري على إيه ٠٠ يعنى كان دكتور ولا مهندس ٠٠ ولا حتى زبال ٠٠ وتلتف من حولها أصحاب الأعمال الحرة مثلها ٠٠ وكأنهم في عزاء ٠٠ وتسمع صوتاً من بعيد يقول بمصمصة الشفايف :

ـــ يختي الجنازة حارة والميت كلب .

لكن أم حسين حادة السمع وهذا هو الشيء المتبقي عندها من الأجهزة البشرية التي وهبها الله في جسدها ٠٠ لذا نهرت الصوت الشامت بحده :

ـــ اخرس قطع لسانك ٠٠ عمره وحسه في الدنيا

فيقول صوت من الجالسات المطيبات :

ـــ حتى مالكيش حق يا نحمدو ٠٠ برضه ابنها وتزعل عليه يا أختي حتى لو كان عظم في قفة .

ثم تسأل أحد الجالسات أم حسين :

ـــ هو المحروس بقى له كام يوم غايب ؟

وترد أم حسين بحزن :

ـ ده التالت والنبي يا جليلة يا أختي ٠٠

ثم تنظر أم حسين إلى السماء وكأنها تدعو الله وتقول :

ـ ربنا يقرب البعيد ٠٠ يا ترى بيأكلوك ٠٠ واللا سايبينك تعوي ؟

ثم قالت سيدة من الجالسات بالقرب منها ٠٠ وناصحه لها :

ـ بقول لك إيه يا أم سعيد ما تندري له ندر ٠٠ شئ لله يا حسين يجى لك بالسلامة ؟

وندرت أم حسين أن تفرق النابت ٠٠ يوم أن تراه مرة أخرى .

وفى ظهيرة اليوم الرابع لغيابه ، لمحت أم حسين طيفاً يخترق المترجلين والجالسين بالفناء المقابل للمدخل الرئيسي للمشهد الحسيني .

ورهف قلبها عليه فبرحت تجارتها ٠٠ وجرت إليه واختطفته والدم يسيل من وجهه على جلبابها ٠٠ فها لها ما رأته من تورم بزرقة لعينه اليسرى ٠٠ وهو يعوي وكأنه يشتكى لها ما عاناه على يد العصابة من ضرب مبرح لذنب لم يرتكبه ٠٠ وهو أنه لا يستطيع الكلام ولا يفهم معنى الكلام ٠٠ كما أنه لا يدرك طبيعة أو أمن الملوى فلملمت أم حسين صرتها وبداخلها البضاعة واستندت عليه باحتضان حتى وصلت إلى خنها بالبيت القديم .

وبالبيت جاء أهل الحارة بشتى أنواع العلاج وبعض الناس ينظر إلى البيت المتهالك ويخشى الدخول حتى لا يتهدم على من فيه ، ثم تبرعت إحدى الشابات ذات الجمال والأنوثة والشعر المسترسل بتموج ضارب إلى النحاسية على كتفيها من فرط استخدام الكيروسين وبعض الزيوت ٠٠ ولون عينيها عسلي فاتح أقرب إلى الخضرة يعلوها حاجبين بشعر غزير ضارب إلى الصفرة ٠٠ ليستدير ببروز مغرى

انهالت بهما علها تجد في المجذوب رجولة ترضى عطشها أو يتحسسها وهى تداويه فتثأر ٠٠ ولا تعلم هي أن هـــذه الانفعـــالات لا يدركـــها فأجهزة الجسم نوعين ٠٠ أحدهما تؤدى وظيفتـــها بســخرة ، أي دون تأثير وأجهزة تؤدى وظيفتها بإثارة أو برغبة ٠٠ إنه لا يـــدرك حتـــى الإثارة أو معناها ٠٠ والحيوان يدرك بالغريزة هذه الإثـــارة ٠٠ بينمـــا هو ليس له هذا الإدراك الغريزي ٠

ولذلك كانت تداويه دولت ذات الأنوثة الفائقة لتستمتع هـــي فقـط وتتحسس دون قصد ظاهر بعد أن وجدت فيه رجولـــة تامـــة ٠٠ وأم حسين والجميع يدعون لها بحسن العـــدل والـــزواج لصنيعـــها الخـــير ومداواة حسين ٠

حتى دولت لم تسلم من زوج أمها الشـــرس بصلعتـــه الشـــهيرة ، المحاطة بالشعر الخشن٠٠ كأنه نجيل غير مـــهذب ، وكـــان يرتـــدى سروالا أبيض قطني طويل وفانلة بكم طويل ، حينما فرغت من مـــداواة حسين وذهبت إلى بيتها ٠٠ فنهرها قائلا :

ـــ أنتي كنت هناك بتعملى ايه يا فاجرة ؟

وبكت المسكينة ٠٠ لتدافع عنها أمها قائلة :

ـــ يعنى كانت بتعمل ايه يا شحته ٠٠ ما كل الناس هنـــاك عشـــان الغلبانة أم حسين ٠٠ ابنها رجع وشه كله دم وضاربينه ٠

فقال الزوج مبررا صلابته :

ـــ تلاقيه حرامى ٠٠ سرق حد من الأكـــابر ٠٠ قـــاموا حبســـوه وفقعوه علقه ٠

فقالت الزوجة نافية :

ــ حرام عليك ·· اتقى الله ·· ده ولى من أولياء الله ·· بعدين فضها سيره مش كل شويه تذل في البنت ·· بكره ييجى لها عدلها ، وتريحك من وشها ·

ثم استغلت الزوجة نفوذها ·· فهي أم دولت ·· ولها إمكانيات الأم فقالت :

ــ أنت مش خلصت أكل ··قوم شوف شغلك ··البيت محتاج فلوس واللا ح نصرف عليك كمان ·

وعادت البسمة لأم حسين بعودة الابن الضال وفرقت النابت وأوفت بالنذر ·· حيث لعبت الفطرة معه دوراً هاما ·· ففطن إلى أن المأوى بجوار أم حسين آمن ·· ولن ينال فيه أي لون من الأذى ·· حتى القهوة المليئة بهذا الكم من البشر مهما تعالت صرخاتهم وأحاديثهم الغير مفهومة ، واللهيب المتصاعد من الشيش وهم يشدون الأنفاس لن يؤذيه ·· ولذلك كان يقف بجوار القهوة غير مذعور أو خائف كما كان سابقا يأخذ شربه ماء من هذا ·· أو رشفه من كوب الشاي ·· أو قطعا معدنية نقدية يطير بها فرحا لأم حسين ·· ثم يعود مرة أخرى مارا بأحد محلات الكشري أو المطاعم القريبة فينال رزقه ويزداد فرحه وأمنه ·· نعم المأوى ·· إنه الوطن ·

هكذا شعر مجذوب الجمالية بقيمة الوطن والمأوى ·· فبدلا من أن تكون أم حسين والبيت القديم هما فقط ·· أصبحت الأزقة والقهاوى والحوانيت والمطاعم الموجودة بالجمالية هم المأوى ·· لتتسع في مداركه دائرة الوطن ·

الفصل الثاني

الابن الضال حسين ، يمشى في ربوع الجمالية غـير مذعـور أو خائف ، وزادت مصادر رزقه وطعامه وشـرابه ٠٠ والآن ليسـت أم حسين فقط هي مصدر طعامه ٠٠ وهاهو الآن يقف مـع هـذا أو ذاك يرفع كفيه إلى السماء مقلدا حينما يرفع الشخص الواقف معه يديه طالبـا منه أن يدعو له الله ٠٠ ثم يعطيه رغيفا أو قطعة من النقود ٠٠ فـأدرك حسين أن رفع الكفين يدل على طلب الطعام ٠٠ فأخذ يرفع أكفه للرائـح والغادي ٠٠ حتى يخيل إلى الناظر إليه أنه يدعو الله ٠٠ أو ربما يكون كذلك ٠

وذات يوم وقد انصـرم الشـتاء القـارص ٠٠ وحسـين يجلـس القرفصاء إلى جوار أم حسين ٠٠ ويرفع أكفه وينظر للمارة وهو سـعيد بكثرتهم الآمنة ، ورزقهم وإطعامهم الوفير ٠٠ وإذا بسيارة شرطة تقف على بعد ، ثم ينزل منها مجموعة من الرجال التي تضرب بعنف هـذا وذاك ٠٠ والتاجرات مثل أم حسين والباعة الجائلين يلملمون بضاعتـهم في صررهم ويجرون مغادرين المكان ٠

رأى المجذوب حسين هذا فأدرك أنهم من الوطن غير الآمـن ٠٠ الذين آذوه من قبل فقام ليجرى هو الآخر مقلداً من يهربون منهم ، بينما هم من خلفه كأنهم جاءوا من أجله ٠٠ فأسرع من خطاه وهم يتسـابقون للامساك به ٠٠ ظانين أنه من المجرمين الهاربين من العدالـة فـزاد تصميمهم على أن يلحقوا به ٠٠ حتى وصل الحـارة بأسـرع منـهم ٠٠وأهلها يحاولون إقناع الشرطة قائلين :

ــ إنه أبله من الدراويش ٠٠ لا يدرك شئ ٠

ولكن لا حياة لمن تنـــادى ٠٠ فشـــهروا مسدســـاتهم وحـــاصروا المنطقة وانقضوا عليه داخل بيته الآمن ٠٠ فقبضـــوا عليـــه وكبلـــوه بالأغلال ٠٠وسيارة الشرطة جاءت على الفور ٠٠ بأضوائها الحمـــراء المتقطعة وصفيرها يدوي بالحارة ، ليلقي بالرعب إلى كل من تسول لـــه نفسه ، ويظن أنه بإمكانه الإفلات من أنياب الشرطة والعدالة ٠٠ فـــهي الآن تضرب بيد من حديد على كل خارج على القانون ٠٠ ثم جرجروه إلى القسم ليمتثل أمام العدالة ويعترف بجرمه ٠

وجاءت أم حسين من خلفه بصراخها وولولتـــها تـــدوي لتســـتميل أخيار أهل الحارة فيساعدونها ٠٠ بينما شحته النجار يصرخ على ابنـــة زوجته دولت التي صممت أن تذهب مع أم حسين إلى قسم البوليس فـــي سيارة الأسطى قرقر الميكانيكي قائلا بأعلى صوته :

ــ ارجعي يا قليلة الربابة ٠٠اللى بنقول عليه ولي٠٠٠ أهو طلـــع حرامى و رد سجون ٠٠

بينما أم حسين تدعو عليه من جانبها :

ــ ربنا ياخدك راجل خسع ٠٠ ما عندكش نخوه ٠

ثم انحشر قرقر الميكانيكي بكرشـــه الكبـــير لدرجـــة أن أزاريـــر القميص التي تقع على قمة الكرش قد أقلعت عن عراويها ليزداد حجمـــه بوجهه الضخم الأسود من لفح الشمس ورواسب الشحم عليه ٠٠ كمـــا أنه لا يهوى حلاقة ذقنه كثيرا ٠٠ ولكنـــه معجـــب ولـــهان بالفرســـة الجامحة دولت ، التي استطاعت أن تستميله بمواهبـــها البـــارزة لكـــي يسخر سيارته الأجرة ، تحت أمر وطلب أم حســـين ، وســـواد عيـــون المجذوب ، ولأول مرة تطأ قاعدة أم حسين كرسي أو كنب سيارة فـــي حياتها وقد احتارت وهى تبحث عن مقبض أو يد باب السيارة لتغلقـــه ،

بينما تميل دولت على أم حسين حيث ركبت قبلها لتغلق بابها ٠٠ وكم كانت أمنية قرقر أن تكون هذه الرحلة له مع دولت فقط إلى الأماكن الخلوية ٠٠ وأقلعت السيارة الأجرة إلى القسم ٠٠ فكان له بعضا من المعارف ، جاملهم سابقا بإصلاح سياراتهم العطبى مجانا ٠

وفي قسم الشرطة ، وقف حسين أمام ضابط المباحث الجالس على مكتبه الضخم من الخشب السميك المطلي باللون البني ، وقد تحلت حوافه بنقرشة عشوائية لا معنى لها ٠٠ ويرجع تاريخه إلى ما قبل ملوك مصر ولكن العقيد سامي الدهشورى يعتز جداً بهذا المكتب ، لأنه يساهم بقدر كبير في ممارسة نفوذه وسلطانه وشخطه ونطره سواء مع الخارجين على القانون ٠٠ أو العساكر المبعثرة يميناً ويساراً ، أو على المخبرين فتجده يضع الكاسكيت الأبيض على هذا المكتب ٠٠ بينما يعلق الجاكيت الأبيض ، المحلى بالنسر والدبورتين ، على الشماعة التي تقبع في أحد أركان الغرفة ، بينما صوره رئيس الجمهورية تتوسط الجدار الخلفي له وتحتها علم الجمهورية ٠٠ والبارافان الخشبي ذي اللون الأسود يقع مباشرة خلف باب الغرفة ليمنع أي متلصص ببصره ليعرف شخصية الجالس علي المكتب ٠

أما سامي نفسه نقل حديثا إلى القاهرة من محافظه دمياط فأرهقت تكاليف المعيشة بالقاهرة ميزانيته ٠٠ وأصابته بالعصبية وعدم تقدير الظروف ٠٠ معتبرا نفسه من المجني عليهم ٠٠ لم ينظر إليه مرؤسيه بعين الرحمة ٠٠ فلماذا هو ينظر بالرحمة إلى هؤلاء المتسولين والخارجين على القانون ؟ امتثل حسين أمام الضابط ومن خلفه اثنين من المخبرين العتاريس وبذراع كل منهما كف يزن العديد من الأرطال بمساحة عريضة ٠٠ يتناوبون عليه الضرب حتى يعترف للباشا ضابط المباحث الذي يقسم أنه لن يكون هناك من يفلت من العدالة ٠

وبدأ استجواب الضابط :

ـــ بطاقتك فين يا واد ؟

فيرفع حسين أكفه كأنه متضرعا إلى الله يطلب طعاما ، بينما ينزل على قفاه أحد المخبرين بكف يده ٠٠ فيقول الضابط بكبرياء ٠٠ متباهياً بكم الذكاء الذي لديه وتنوع في وصفه الكتب :

ـــ أنت ها تعملهم عليه ٠٠ طاوعني أتكلم ، لحسن أخدك تحرى

فيرفع حسين أكفه للأعلى ويزداد قربه من المكتب ، فينزل على قفاه كف المخبر الآخر ، ويزداد تهديد الضابط :

ـــ برضه مش عايز تتكلم ٠٠ طب اسمك إيه ؟

ثم أخذ حسين يعوي بصوت ممزوج بالمواء ويهز أكفه المرفوعة فقال الضابط سابا :

ـــ وعامل لي أخرس يا روح أمك ؟

وأنهال عليه المخبرين كل منهما بقبضتة من خلفه ٠٠ لينكفئ على وجهه فيسيل الدم من أنفه وفمه ٠

فقال الضابط :

ـــ إرموه في الحجز دلوقت ٠٠٠ لما نشوف بقية المصائب ٠

وكان هناك عددا من المجرمين الهاربين من العدالة ويعملون بالتسول ، كما ظنوا بحسين أنه مجرماً متخفياً خلف ستار التسول بعيداً عن أعين البوليس ٠

كانت أم حسين تعجل بقيادة قرقر قائلة :

ـــ والنبي مد شوية يا أسطى قرقر ٠٠ أنت عارف مابيعرفش يتكلم

فيقول قرقر بثقة والكاسكيتة تملأ رأسه بميل ٠٠ ليستميل قلب دولت الصامتة :

ـــ ما تخافيش عليه يا حاجة ٠٠ كل الضباط هناك معارف بييجوا يصلحوا عربياتهم عندي ولا مؤاخذة ببلاش ٠٠ ويسهروا معايا في الورشة ٠

فتقول أم حسين وهى تتشبث بالأمل :

ـــ يا رب يخليك يا قرقر ٠٠ يعني يابنى ها يروّح معانا ؟

وبثقة أكثر لجذب دولت قال قرقر :

ـــ إن شاء الله ٠٠ هي ساعة زمن ويكون معانا بإذن الله ٠٠ما تقلقيش يا أمه ٠

ووصلت أم حسين ودولت وقرقر الميكانيكي ، ولم يلحقوا بحسين أثناء إدخاله الحجز ٠٠ ثم دخلوا القسم والغروب يعلن سطوته ٠٠ ثم قابلهم أحد المخبرين وهم بالمدخل ، فقال لأم حسين ناصحاً :

ـــ يا حاجة ما فيش فايدة ٠٠ لازم يعترف ٠٠ ده أفيد له ٠٠ إذا كنتم عايزينه يخرج٠

فقالت دولت الصامتة طول الطريق و فى نفس واحد مع أم حسين :

ـــ ده مظلوم والنبي يا شاويش ٠

فقال المخبر مهددا :

ـــ يعنى الحكومة ها تمسكه كده من غير سبب ٠٠إنتم أحرار ٠٠

فسأله قرقر وهو يرفع أحد حاجبيه وقد ناوله سيجارة :

ـــ مين الباشا ضابط المباحث اللي جوه ٠

فقال المخبر :

ـــ ده سامي بيه الدهشورى ٠

وبالثقة التي أوعزها قرقر في نفسيهما ٠٠حاولت أم حسين ودولت الدخول عند ضابط المباحث ، غير مبالين بأحد العسس ، الواقف على الباب كحارس فرعوني صنديد لينهرهم قائلاً :

ـــ إيه يا ست رايحه فين ؟ ٠٠٠ ممنوع الدخول ٠

فقالت أم حسين مستعطفه :

ـــ ابني جوه ٠٠عند البيه الضابط ٠٠مابيعرفش يتكلم ٠

فقال العسكري آمراً :

ـــ طيب استني شويه ٠

ثم اقترب قرقر من العسكري الفرعوني مخترقا بين أم حسين ودولت كنوع من التمحك غير المقصود ٠٠ ثم قال للعسكري :

ـــ مين الباشا اللي جوه ؟

فقال العسكري ساخراً :

ـــ وأنت مالك أنت ٠٠إتفضل أقعد هناك ، لما ننده لك تيجى ٠

فقال قرقر محاولاً أن يمسح العار الذي لحق به ، ويثبت وجـــوده ثانيه أمام دولت :

ـــ لا ٠٠ أنت مش فاهم ٠٠إذا كان سعادة الباشا ســـامي ٠٠ قلــه الأوسطي قرقر الميكانيكي ٠

فقال العسكري آمراً :

ـــ برضه هاتستنى شويه ٠

ثم قال قرقر مضطراً ٠٠وهو يناوله سيجاره :

ـــ ماشى يا باشا ٠

ثم دخل العسكري ليخبر الضابط ٠٠ و بعد فترة خـــرج عليــهم قائلاً :

ـــ أتفضل ياسيدى أنت و هى ٠

فدخل قرقر محتضناً أم حسين ، واندفعت دولت خلفــهم ، فمنعــها العسكري ٠٠ فالتفت إليه قرقر مطمئناً :

ـــ لا دى معانا ٠٠ ياشويش ٠

ودخل الثلاثة ٠٠ وبينما هم خلف البارافان الخشــبي قـــال قرقــر هامساً لأم حسين:

ـــ مش بقولك يا حاجة ٠٠هى ساعة زمن وها يخرج معانا ٠

فرفعت أم حسين حاجبيها عالياً داعية ٠٠ ثم امتثلوا جميعــا أمـــام الضابط ٠٠ ولما رفع رأسه ورآهم أمامه قال :

ـــ طلباتك يا سى قرقر ٠

فقالت أم حسين :

ـــ ابني اللي كان عندكم هنا ٠٠عنده لطف ٠٠درويش يعنـــــي ٠٠ وما بيعرفش يتكلم وأنتم اخذتوه من عند الحسين ٠

فقال الضابط مفسراً :

ـــ حسين ايه يا وليه ٠٠ إحنا قبضنا عليه في بيته ٠

فقالت أم حسين :

ـــ ايوه يابنى ٠٠ ما هو جرى ٠

فتدخل قرقر قائلاً :

ـــ ما هو يا باشا ٠٠ لا مؤاخذة متخلف عقليا ٠٠ ربنـــا يســاعده كمان ما بيعرفش يتكلم ٠٠ولا حتى يفهم معنى الكلام ٠

فسأل الضابط عن بطاقته الشخصية أو العائلية ٠٠أو أي شئ يثبت هويته ٠٠ أو حتى اسمه بالكامل ، فتدخلت أم حسين لتقول الحقيقة حتى تبرئه ٠٠لأنها تعتقد بأن الكلام هنا رســـمي ٠٠ والحكومـــة لا يخفـــى عليها شئ فقالت :

ـــ والنبي يا ابني أقول الحق ٠٠ من حوالي ثلاثين ســـنة ٠٠لقيتـــه جنب الجامع وأنت عارف الحسين كله بركه ٠٠ وكان عمــــره ييجـــى عشر سنين ٠٠قاعد يا روح أمه يعوي زي الكلب ٠٠ وعامل حاجـــات كده على روحه ٠٠ قمـــت خدتـــه ونظفتـــه ٠٠ وحســـيت إنـــه ابـــن ناس٠٠وربيته ٠٠ وكل ما آجي أعلمه الكلام يقوم يعـــوي ٠٠ أحـــاول

أفهمه ٠٠مابيفهمش ٠٠بقيت أأكله وأشربه بايدى وأنظف ولا مؤاخـــذة وساخته ٠٠ المقام ليك يا بيه ٠٠ وسميته بقى حسين على اســـم اللـــي باعتهولى ٠٠شئ لله يا حسين ٠٠ وأنت عارف حضرتك ٠٠القوانيـــن زمان مش قد كده ٠٠ أنا جاهلة وكل إلى بأعرفه من الدنيا ٠٠أبيـع دوم وغوايش فالصو للعيال ٠٠يارب يخليك هاته كـــده قدامنـــا ٠٠شـــوفنا بنكدب عليك والا لأ ٠

فقال الضابط متأثرا بحديث أم حسين الصادق :

ـــ طب يا ستى أنا أوعدك إن ما حدش هـــا يأزيـــه ٠٠ و هيبـــات النهارده عندنا ٠٠ها نعمل له فيش و تشبيه ٠٠ و نطلـــع لـــه بطاقـــة شخصية ٠

وهنا قال قرقر:

ـــ إبسطى يا أم حسين ٠٠ ابنك ها يتعمل له بطاقة عشان تصرفـــي له تموين ٠٠ ويمكن تاخدى عليه معاش ٠

ثم بعطف نادى الضابط على الأمين المناوب بورديه الليل وكـــانت الساعة تشير إلى الثانية عشر ٠٠ فأمره :

ـــ المجذوب اللي جوه ٠٠أبو بيجاما مقلمه ٠٠ حافظوا عليـــه ٠٠ وهاتوا له أكل و إبعدوه عن بقيه المجرمين ٠٠ لأن دة مش مجـــوم ٠٠ على ما آجى بكره الصبح٠

فقال الأمين :

ـــ حاضر يا أفندم ٠

في هذه الفترة كاد حسين أن يرتكب جناية قتل وهو داخل الحجـــز عندما شاغب معه أحد المجرمين بأفعال منافية لـــلآداب علـــى ســـبيل الهزل ، بينما حسين كان يرفع أكفه ٠٠وهم لا يفهمونه ، فانقض حسين على الفاعل وقبض بكلتا يديه على حنجرته ٠٠ وعندما هم ليغرز فـــي رقبته أسنانه القوية ٠٠جاهد بقيه المحجوز عليهم ليفكوا يده ، وتعـــالت أصواتهم ، حتى دخل العسكر ، وتم انتشال هذا المجرم من بين براثـــن حسين وثورته ٠

هل هو إذن يفكر في الدفاع عن الشرف ؟!٠٠ لا٠٠ ليـــس هـــذا تفكيره ٠٠ فالذكورة من الحيوانات تفعل نفس الشيء حينما يقترف أحـداً من الذكور هذا الفعل ٠

ثم عزل حسين في زنزانة بمفرده ٠٠حسب ما أمر به الضابط ٠

وانصرفت أم حسين مع دولت وقرقر المحب الولهان ٠٠ والأمـــل في عيونهم مع إشراقة الصباح كما وعد الضابط ، وسيكون له بطاقـــة شخصية ٠٠ ويسجل رسميا في الدولة ٠

ومرت الساعات الكئيبة ٠٠ولكن حسين أصبح معروف مكانــه ٠٠ إنه في مأمن حكومي ٠٠ وفي صباح اليوم التالي جـــاء الضـــابط ٠٠ ليشرف على تصوير حسين وأخذ بصماته لعمل الفيـــش والبطاقـــة ٠٠ وهى الأوراق الهامة التي تثبت كيان أي إنسان ينتمي إلى مجتمـــع ٠٠ ثم بعد ذلك يفكر الضابط في إيداعه أحد المصحات النفسية للعـــلاج ٠٠ وإعداده كفرد من عناصر المجتمع العاملة ٠٠ ولعله بذلك يكون قد كفر عن ذنبه وما أبلاه بهذا المجذوب ٠٠ أثناء التحقيق ٠٠ وقد ظن بنفســـه الظنون ٠

أمر الضابط بتكبيل يد حسين حتى لا يأتي بأفعال جنونية ويـأخذوه أولاً للحمام لإخراج النفايا ٠٠ ولكنه لم يتعود على الحمام الأفرنكي فوضعها بالجانب كما كان يفعل ببيت أم حسين ٠٠وأمر حلاق القسم أن يهذب شعر حسين ويحلق له ذقنه ٠٠ ثم نظفوه بالغسل فبدت لهم وسامته ٠٠ثم أجلسوه على الكرسي وحاولوا جاهدين أن يجعلوه معتدلا أمام الكاميرا لتصويره ٠٠ بينما الضابط من جانبه يصيح في المصور أن يلتقط الصورة بسرعة لحظة الاعتدال ٠٠

وأخذت الصورة الفورية ٠٠ولكنها كانت مهزوزة قليلاً ٠٠وبها خيالاً باهت ، فأمر الضابط بالتقاط واحدة أخرى ٠٠ آمراً المصور أن يكون دقيقا ٠٠ فالتقط المصور الثانية بتركيز أكبر فقل الاهتزاز بينما زاد وضوح الخيال ٠٠فاندهش الضابط ٠٠ وأخذ يطالع الجدار خلف حسين عله يجد سقوطا لمحاره ٠٠ أو تقشيرا في بياض الحائط ٠٠ وهذا الجدار لم يلمسه يد إنسان قط ٠٠ ثم أمر بالثالثة وبمجرد الانتهاء من أمره بالتقاط الصورة الثالثة ٠٠ دخلت أم حسين ودولت وقرقو ٠٠ فرأته دولت بوسامته فخرجت زغرودة السعادة من قلبها ٠٠ فهو أول من تحسسته وشعرت بحبه ٠٠ثم نظر حسين نحوهم وأخذت الصورة الثالثة ٠

ويا لدهشة الضابط والحضور ٠٠ لقد تجسد الخيال واتضحت معالمه ثم أخذت صورة وأخريات ٠٠والخيال المتجسد هو لم يتغير فصمم الضابط على أن يجد صاحب هذا الخيال حيا أو ميتا ومهما كلفه ذلك من مشقة ومال ٠٠ثم أخذ بصمات حسين للبحث عنها ٠٠وتصعد الموقف ٠٠وعرض الموضوع برمته على وزير الداخلية ٠٠فأيد رأي الضابط وأمره بالتنفيذ الفوري ٠٠على المجذوب يجد والديه ، أو المتبقي من أسرته ٠٠والتحقيق معهم لماذا لم يبلغوا عن فقدان هذا المجذوب ؟

ثم بصمت أم حسين على استلام المجذوب على أن يكـــون تحـــت سمع و بصر الحكومة ٠٠ و عليها أن تهتم به فـــي مأكلـــه ومشـــربه وملبسه نظير مكافئة شهرية ٠٠ ثم أمر بعض المخبرين لتتبع أخبـــاره ومراقبته ٠

وانصرف الأربعة ٠٠لتجلس دولت بجوار حســـين علـــى الكنبـــة الخلفية تمسح بشعره ٠٠ وأم حسين تجلس بجوار الأوسطي قرقر حاقداً على غريمه المجذوب قائلا :

ــ أرزاق يا حاجة ٠٠ أدى إحنا طلعنا من المولد بلا حمـــص ٠٠ جتنا نيله في حظنا الهباب ٠

الفصل الثالث

استعان الضابط ببعض الرسامين لتكبير صورة الشخص الخيـالي ، الذي كان يظهر مجاوراً لصورة المجذوب ، ثم طبع منها الكثـير ٠٠٠ ثم شكل مدير أمن العاصمة ــ وهو شخصية وصولية ــ جعلـت مـن موضوع المجذوب قصة لها مغزى عميق ، يجب أن يبحث وراءهـا ، علة ينال ثقة مرؤسيه والفوز بمركز مسـاعد وزيـر الداخليـة الأول ــ فالتغيرات الوزارية كثيرة ــ وأحلامه تفوق هذا المركز بكثير .

وبتكليف من الوزير تم تشكيل فريق بحث على مسـتوى عـالي ، لكشف هوية المجذوب في عدة اتجاهات مختلفة ، مثل أرشيف القـوى العاملة ، وإدارات المرور ، والأحوال المدنيـة والميكروفيلـم الخـاص بالفيش والتشبيه بكافة المحافظات ، ثم قامت الشرطة بكافـة الأقسـام باستجواب كل من يقترب بالشبه مع هذا الشخص الخيالي ٠٠ وقديمـاً قالوا (يخلق من الشبه أربعين) ، والحقيقة أنهم أكثر من ذلـك بكثـير ، والعجيب أن كل من تم استجوابهم أنكر صلته بالمجذوب ، ومن الجـائز أن يكون أبوه ضمن المستجوبين وأنكر صلته بالمجذوب ٠٠

وازدادت حيرة الشرطة ٠٠ وظهر ذلك من انفعال مديـر الأمـن على فريق البحث في اجتماعه الطارئ بهم قائلاً :

ــ واد زي ده مش قادرين نعرف أصله ؟٠٠ أمال أنتم في مكـاتبكم بتعملوا إيه ؟٠٠ دى مشكلة تافهة ٠٠

فرد أحد أفراد الفريق :

ــ إحنا أجرينا تحقيقات مع كل شخص يقارب الشبة بـالصورة ٠٠ والكل بينكر الصلة ٠٠ مش ناقص غير إعلانات الجرايد ٠

فرد مدير الأمن :

ــ ومستني إيه ؟٠٠ بكرة ينزل إعلان في كل الجرايد والمجلات ٠

ثم بذكاء الشرطي المحنك سأل مدير الأمن الضابط سامي قائلاً :

ــ أنت أخذت بصماته ؟

فقال الضابط سامي :

ــ أيوه يا أفندم ٠٠

فقال مدير الأمن :

ــ وعملت بها إيه ؟

ــ لسه ما مشيتش في الخط ده يا أفندم ٠٠

فقال مدير الأمن متحسراً وهو يذكرهم بما جاء في اجتماعهم السابق :

ــ ما أنا قايل إن كل المسارات تمشى في اتجاه واحد ٠٠ مستنين لما أبوة هو اللي يجى يقول لكم أنا أبوه ؟

وأنفض الاجتماع ليستشعر كل فرد في فريق البحث زيادة الفاعلية والضابط سامي عليه أن يضاهى بصمة المجذوب بجهاز حفظ البصمات بمركز الميكروفيلم ٠

وفى مركز الميكروفيلم ٠٠ قام الموظف المختص ذي العينين الجاحظتين والمحاطة بهالة سوداء ، وقد فرش نصف صفحة من الجريدة وصنف عليها سندوتشات الفول والطعمية ، وبعض أعواد

الجرجير وشرائح الطماطم ۰۰۰ بينما كان ممسكاً بإحدى يديه نصف ساندويتش ، يقضم فيه بنهم ، و هو يدخل بيانات البصمة لجهاز الكمبيوتر ، ليستدرج بيانات صاحبها ۰۰ فأخذ يداعب مفاتيح اللوحة الإلكترونية للكمبيوتر ۰۰ و بعد فترة من الترقب للشاشة واستدعاء البيانات المخزونة ۰۰ أظهرت الشاشة الإلكترونية بيانات محددة لبصمة المجذوب ، جعلت من الضابط سامي ينفعل ساباً المجذوب قائلاً :

— يا ابن الـ۰۰۰ وعاملي مجنون ؟۰۰ أنت سنتك سوده معايا ۰

ثم ألتفت إلى الموظف المختص آمراً :

— اطبع لي البيانات دى ۰

فجادل الموظف بفهلوة وهو منشغل بأمور الطباعة :

— الواد دة شكله مجرم ذكى جداً يا باشا ۰۰ ده باينه مزور عمله ۰

فنهره الضابط مكتفياً بآرائه ونصحه قائلاً :

— خليك في شغلك ۰۰ كمل ساندويتشات الفول .

وأخذ سامي البيانات ، وخرج من مديرية الأمن ، وركب سيارة الشرطة الخاصة به ، لتوصيله إلى القسم التابع له بالجمالية ، وهو يتمعن في البيانات الخاصة بالمجذوب ، فيقرأها مراراً وتكراراً ليحفظها عن ظهر قلب ۰۰ فيوم أن خلق الله الأرض ومن عليها لم تتشابه بصمتين ۰۰ كيف تضلله عجوز في الغابرين وميكانيكي ؟۰۰ كيف صدق أن العجوز تبنته وهو في العاشرة من عمرة ۰۰ فأطلق سراحه حينما إستدرت عطفه ؟ هل نسى الألاعيب الإجراميه ؟۰۰ أو كيف وصلته شعوذته ليضع صورة وقور بجانب صورته ؟

إذن ما هي العلاقة التي تربطه بالعجوز الشمطاء ؟٠٠ هـــل أثـــر عليها كما أثر عليه هو ٠٠٠ فجعلها تصدقة ؟٠٠ والعديد من الأســـئلة الأخرى أخذت تشتت فكره ٠٠ فتوعد بالحارة وساكنيها أن ينزل بـــــها أفدح ألوان العذاب ٠٠ كيف تأوى بينها مجرماً محتالاً وتتستر عليه ؟

ثم ذهب إلى القسم يرتب ويصنف وعيده .

الفصل الرابع

بكلية العلوم جامعة عين شمس ، وفى مدرج نوح المحلى مدخلة بالورود ، كانت اللجنة منعقدة لمناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب كمال شكري ، وقد اهتمت الرسالة بإنتاج البروتين المسمى ألفالاكتالبيومين ، الهام جداً من أجل البقاء على حياة الأطفال ناقصي النمو اللذين ولدوا بحالة مبسترة ، وقد أجيزت الرسالة بتقدير عام امتياز ، ولهذا طار الأب فرحاً ، لأن الابن الآن مؤهل لأن يكمل مشوار أبيه الدكتور شكري سعد ، العميد السابق لكلية العلوم تلك ، ولكنه لأمر ما مع عناده العتيد تقرر فصله من الكلية ، فنقل جميع أبحاثه وأسرته إلى الفيلا الجديدة بمدينة نصر ، والتي أسسها لأغواض الإعاشة ، والأبحاث .

والفيلا تقع بمنطقة متطرفة ومعزولة ، كأنه يريد أن يبتعد كلية عن المجتمع الذي تشكك في أبحاثه وسلوكها ، وهذه هي طبيعة العوف والتقاليد حيث تقف حائلاً دون تقدم البحوث التي تأتى بكل جديد .

كانت سالي سمير تجلس بين الحضور ترتقب اللحظة التي ينطق عندها رئيس اللجنة بإجازة الرسالة ، وتتمنى أن تتوج بالامتياز فمحبوبها الوسيم ، يستحقها لطموحه الفائض عن الحد ، وذكائه الخلوق واليوم بالذات هو الموعد المناسب لأن تخبره وتعلن على الملأ أجمع بحبها المدفون الذي خلق أثناء فترات الاختلاء بمعامل الكلية وهو منهمك بكامل وعيه في بحوثه ذات العائد الفعال للمجتمع ، وهى تحاول بقدر المستطاع والمتاح لفتاة شرقية أن تخلق الفرصة تلو الفرصة ، أن تستميل قلبه المتجمد وفكره الشارد بعيداً عنها ، وأبيه ذلك العجوز الأصلع المتصابي بغليونه المشتعل دائماً وضبابه الذي عزله عن الناس كما عزل ابنه عنها إلا من لقاءات لفحت خديها بجمهرة الخجل المفعمة بالحب ، ولم يستطع أي منهما أن يصرح للآخر.

ولما انتهت المناقشة قام الأب فصافح اللجنة بكبرياء ، فهو على الأقل أستاذهم ، وأنهم الآن ردوا الجميل بإجازة الرسالة بالدرجة العلمية اللائقة كما اعتقد هو ، ولكن ليس لسواد عيون الأب ، إنما وصلت الرسالة فعلاً بمضمونها وما احتوت عليه من علم إلى هذا المستوى الرفيع ، وحقاً هذا الشبل من ذاك الأسد.

وبعد أن حيا الأب اللجنة ، ذهب إلى ابنه مباشرة ، لاستكمال الحفل والفرحة ولكن بالفيلا ٠٠ فقال الابن بلعثمة :

ـ أنا كنت عايز أقعد مع سالي شوية ٠٠

فقال الأب بعينيه الجاحظة متوسماً في ابنه الطاعة :

ـ سالي إيه دلوقت يا كمال ٠٠ ماما منتظراك على أحر من الجمر أنت نسيت إن عيد ميلادك النهاردة ٠٠ يا دكتور ٠٠

ـ طيب فرصة ٠٠ سالي تحتفل بيه معانا

ـ أنت بتحبها ؟

فقال الابن بلعثمة الطاعة :

ـ يعنى ٠٠

ـ بيتهيأ لي إن الموضوع ده نأجله شوية .

ـ ليه يا بابا ؟

ـ بعدين نتكلم فيه مش وقته ٠٠ ياللاه

واكتفى كمال بتلويح يده لسالي التي تفتق قلبها من فرط حبها لــه ، وخرج الأب مصطحباً ابنه في لمح البصر إلى البيت ، وكمال لا ينطـق ببنت شفه ، فكيف له بالحديث ، وهذا الأب الذي صنع لـــه كــل ذلــك المجد قد أمر بهذا الجفاء وإضاعة الفرحة عليه ، كيف له بالحديث ولــم يتلق منها التهنئة لجبنه بطاعته العمياء لأبيه ، واعتماد علـــى الفــرص التي ستتاح في وقت لاحق كما أمر الأب .

وفى البيت أعدت الأم كعكة عيد الميلاد وزينتــها بمعجــون مــن الشكولاتة وغرست فيها الشمع وأحاطتها بكؤوس الخمر لثلاثتهم فقـط ، فهي تحب زوجها منذ أن كانت طالبة فـــي كليـــة الطــب ، تخصــص أمراض النساء والولادة ، وظلت في هذه المهنة حتـــى عــاد الدكتــور سامي من روسيا ، وتفرغت تماماً لزوجها وأبحاثه وبيتها وابنها كمـــال التي أنجبته بعد سنوات عديدة من الحرمان بعد الزواج ، ولـــهذا فــإن كمال هو قرة عينها وثروتها التي لن تسرف فيها .

ودار الحفل الصــــامت ، إلا مـــن بعــض الموســيقى الهادئـــة ، وكلاسيكية الأثاث ، والدردشة حول مشاريع الغـــد ، حتـــى الســاعات المتأخرة من الليل ، ولم يعهد أي منهم السهر لتلك الساعة ، ولكن اليوم له بهجته الخاصة وتميزه عن سائر الأيام .

وفى غمرة الفرح تلك لم ينسى الدكتور سامي أن يســـأل زوجتـــه قائلاً :

ـــ أكلتي المجانين ؟

ـــ نعم وأخذت عينات الدم والنخاع من العمود الفقري وحفظتهم فـي الثلاجة ٠٠ زي ما قلت .

ثم نظر الأب في ساعته قائلاً :

ـ ياه ٠٠ الوقت إتأخر ٠٠ أنتي أخدتي العينات الساعة كام ؟

ـ الساعة ٦ م ٠٠ وقت ما كنتم بتناقشوا الرسالة .

ثم اعترى الأب قلقاً عابراً فقال :

ـ لازم ننزل حالاً ٠٠ يا اللاه يا دكتور جهز نفسك وحصلنى .

ـ حالاً ٠٠

ونزل الأب ومن خلفه كمال واتجها مباشرة نحو المعمـــل الكـــائن ببدروم الفيلا وقد أضاءه الدكتور سامي ، المتســـلل ، حتـــى لا يفــزع المجانين النيام على فراش من القش ، داخل أقفاص حديديـــة محكمـــة الإغلاق ، وقد بدا ذلك من خلال تسرب الضوء الضعيف الملقى علـــى أجسادهم .

استخرج الأب العينات من الثلاجة ، وقد حددت الأم على كل منـها مكان الجسد المأخوذة منه ، ثم وضعها مرتبة على الطاولة وطلب مـــن ابنه أن يفحصها جيداً ويكتب البيانات قائلاً :

ـ عايزك تشوف لي إيه الغريب في حامض الخلايا من كل عينـــة وبعدين تفصله .

ثم قال كمال :

ـ أنا عايز أبدأ بعينة النخاع ٠٠ أنا شاكك فيه .

فقال الأب :

ـ يا ريت ما تزويدش الكمية اللي هاتدرسها عن عشـــر الســنتيمتر المكعب أنت عارف الحصول عليه صعب قـــد إيـــه ٠٠ مـــش ســـهل الحصول على عينات من المجانين دى تانى ٠

ـ والله برافو على ماما إنها قدرت تخدرهم وتاخد منـــهم الكميـــات دى .

كان الحديث يدور بينهما وهما مشغولان بالترتيبات المختلفة التـــي تساعد في دراستهم ، حيث اتجه الأب نحو دورق زجـــاجي موضـــوع على لهب كان يخرج منه أنبوب ملتو بشكل متموج ومتصـــــل طرفـــه بسلسلة من المخابير ومنهم الذي يخرج منه فقاقيع ، والآخرين كـــــانت تخرج منهم أبخرة ملونه ، بينما كمال قابع على مجهره (ميكروسـكوب) يرقب بحذر كمن يبحث عن عدو متربص له ٠٠ ثم قال :

ـ على فكرة يا بابا ٠٠ فيه جين غريب ٠٠ حتى لونه مختلف بعـــد ما أضفت الصبغة ٠٠لو لقيته في عينات الدم والخلايا يبقى هو الســبب في تعطيل النشاط العقلي للمخ عند المجانين دول .

ـ وريني كده أشوفه .

وأخذ الأب يطالع من خلال المجهر ، والدهشة غيرت ملامحـــــه ، وارتفعت حواجبه ، بينما علامات التعجب والانبهار برأي ابنه سـيطرت على قوله حينما قال الابن :

ـ بيتهيألى إن هو ده الجين المسؤول فعلاً عن وجـــود المـــخ فـــي صورة تحتوى على تجاعيد وكساد .

فتابعه الأب قائلاً :

ـــ برافو كمال ٠٠ لازم آرثر ييجى بنفسه يشوف الموضوع ده بعـد كده ها نقرر علاقتك بسالي ٠٠ تتجوزها ولا في .

ـــ ليه يا بابا هو أنت بتشك في حاجة ؟

فقال الأب بيأس :

ـــ أيوه ٠٠ بس ده مش هايبان إلا لما نكمل التجربة .

ثم قال الابن :

ـــ أنت يا بابا فيه حاجات كثير مخبيها عنى ٠٠ بـس لازم تقولـها لي .

فقال الأب مؤكداً :

ـــ أكيد ٠٠ أكيد ٠٠ لازم تعرف كل حـاجة ٠٠ الجيـن ده صفـة سائدة عندك ٠٠ و خايف يظهر فـي أولادك ٠٠ و سـاعتها تحصـل كارثة ٠

فاعترى كمال قلق واضطراب وقرر أن يصعد ليسأل أمه عن شـئ ما وبينما كان يهم للصعود ٠٠ استوقفه الأب قائلاً :

ـــ أنت رايح فين ؟

ـــ أنا طالع لماما .

ـــ ليه ؟

ـــ أسألها من فين أخذت عينة النخاع دى ؟

ـــ ما هو مكتوب على العلبة

ـ آه صحيح ٠٠ دى من المجنون الرابع الأكبر سناً ٠٠ دايماً كده نايم على ظهره ٠٠ تفتكر يا بابا هو شاعر بالألم ؟

ـ مش ممكن لأن مراكز الإحساس عنده معدومة ٠

ثم أتجه الأب نحو أحد الأرفف التي عليها بحوث مكتوبة بخط اليد ثم جال ببصره عليها وأنتقى ملفاً قديماً وفتحه وأخذ يطالع فيه ثم قال لابنه :

ـ من حوالي خمسة وعشرين سنة عملت تجربة لاستنساخ بشرى منك وفشلت ٠٠ وعشان كنت محتفظ ببعض الخلايا ، كررت التجربة مرة ثانية وثالثة ٠٠ حاولت أشوف سبب ضمور المخ إيه ؟ فطلع المجنون ده شبهك ٠٠ واحتفظت بالنسخ ده ٠٠ ومن ساعتها لم تتوقف دراساتي عليه ٠٠ بس يظهر يا بطل إن جه اليوم اللي هانكتشف فيه السبب ودى مهمتك أنت ٠٠

ـ أنت خليتني أستعجل وصول آرثر .

الدكتور آرثر أمريكي الجنسية وهو جراح ماهر ٠٠ ويأتي لزيارة الدكتور شاكر على فترات متقاربة ، فتجمعهما بحوث مشتركة وأعمال سرية ، ومراراً كان يلح على شاكر بالهجرة إلى أمريكا ، والمعيشة هناك ، فحرية البحث العلمي مكفولة ومتاحة ولا تخضع لقيود العرف والتقاليد ، وربما يكون له شأن آخر هناك ٠٠ ولكن إلحاح آرثر كان يقابل دائماً بالرفض ، ولذلك اكتفى بالزيارات المستمرة للاستفادة من البحوث التي يقوم بها شاكر والعمل على نشرها بالمجلات العلمية أو بيعها للجامعات الأمريكية نظير مبالغ طائلة .

وأثناء المناقشة وصلت الأم تحمل صينية القهوة وكيس التبغ المستورد والغليون الذي نسيه الأب بالصالون ٠٠ ثم أخبرتهم قائلة :

ـ آرثر إتصل حالاً وقال إنه جاى بكرة في السابعة مساءً .

فقال الابن :

ـ عظيم ٠٠ أنا عايز مخ المجنون ده بالكامل يطلع بره الجمجمـــة وندرسه بالتفصيل .

فقال الأب :

ـ بس كده أنت حكمت عليه بالإعدام ٠٠

فقال الابن :

ـ أنت عارف يا بابا قد إيه أنا بحب سالي ٠٠ ولازم أحدد موقفـــى معاها ٠٠ وفى حالة ما نتأكد إنى باحمل الجين ده ٠٠ طبعاً لازم أقــول لها .

فقال الأب بعصبية :

ـ لأ غلط ٠٠ إنت عارف إن الموضوع ده سر ، وســـر علمـــى ، كمان مش لازم حد يعرفه ٠٠ على الأقل دلوقت ٠٠ إحنا ما وصلنـــاش لحاجة محددة .

فقال الإبن :

ـ والحل إيه ٠٠ ؟!

فقال الأب :

ـ ما تسبقش الأحداث ٠٠ إنتظر لما نشوف النتيجة ٠٠

فقال الإبن :

ـــ نفترض إن الموضوع مؤكد ٠٠ ها يكون إيه الحل ؟٠٠ أرجوك

فقال الأب :

ـــ أنت قررت مع سالي حاجة معينة ؟

فقال الإبن :

ـــ لأ ٠٠ لسه .

فقالت الأم وَهى تعلم كل شئ :

ـــ طيب خلاص يا كمال أنت لسه على البر ٠٠

فقال الابن :

ـــ يا ماما أنت عارفة كويس إن أنا لازم أعـــرف كـــل التوقعـــات الممكنة ٠٠ وأعمل لها حساب ٠٠ الشقة وخلصت والبنـــت حلـــوة ٠٠ كمان بتشتغل فى نفس المجال بتاعي .

فقالت الأم :

ـــ مش مشكلة الواحد يتعذب أيام ٠٠ لكن ميتعذبش عمر كـلمل ٠٠ مش مشكلة أكيد ح تلاقى حل ٠٠

وبعد أن أشعل الأب غليونه وسحب نفساً عميقاً من الدخان ، وأخـذ ينفثه ليخرج كسحابة الصيف ، قال لابنه :

ـــ خلى تفكيرك منطقي ٠٠ احسبها كويس .

وفى هذه الأثناء ·· بدأت تستيقظ امرأة تسكن بأحد الأقفاص الحديدية لتصدر إيماءات وتأوهات ، ويبدو أنها حامل وفى الأشهر الأخيرة ·· ولذلك سأل الأب موجهاً حديثه للزوجة :

ـــ فاضل لها قد إيه وتلد ؟

فقالت الأم :

ـــ أسبوعين على الأكثر ··

ثم أتجه الأب نحو كمال قائلاً:

ـــ المولود ده مع تقرير آرثر ·· تكون الصورة واضحة تماماً ·· وتقدر تاخد قرارك .

فتنهد كمال بعمق وقال :

ـــ آه ·· مشكلة .

فقال الأب :

ـــ لا مشكلة ولا حاجة ·· أنت مكبر الموضوع أكثر من اللازم ·

ثم قال كمال بعد أن رفع عينيه عن مجهره وكأنه أكتشف شيئاً :

ـــ أنا بلاحظ إن حجم الجين بيقل ·

فقال الأب بلهفة :

ـــ غريبه وربنى ؟

وأخذ الأب يطالع ثم قال لابنه :

ـــ أستعمل عدسة قياس الحجم ٠٠ وأحسب معدل التناقص الزمني للجين أنا ماكنتش متصور كده ٠٠ المفروض إنه يختفي اختفاء مؤقت الدراسات اللي قبل كده ٠٠ بتقول الكلام ده ٠٠

ثم قالت الأم :

ـــ يظهر إنكم مطولين هنا شوية ٠٠ أطلع اعمل لكم ساندويتشات ٠

فقال كمال :

ـــ يا ريت ٠٠ أنا جوعت جداً .

وصعدت الأم لعمل السندوتشات ، وانكب كمال لأخذ قراءاته والأب يراقب محاليله ، والسكون الموحش عزل المكان بصمته إلا من شخير النسخ النائم ٠٠ وفجأة دوت صرخة عالية ، ارتجفت لها الأعمدة وأنابيب المعمل ، بينما فسر الأب لابنه هذه الصرخة قائلاً :

ـــ دى من علامات المخاض ٠٠

ثم قال الإبن :

ـــ وجايز إن الجنين رفسها بقدمه ٠

فقال الأب :

ـــ جايز ٠٠ لازم ماما تزود لها المخدر شوية ٠٠ أو تتصرف ٠

وفى مساء اليوم التالي وصل آرثر ، كان في استقباله كمال بالمطار وبعد أن حياه قال آرثر :

ـــ فين العجوز ؟ ٠٠ يا ترى مختفي ليه ؟

ـ مشغول جداً ٠٠ سيرزق قريباً بطفل .

فقال آرثر متعجباً :

ـ طول عمره شقي ، وشبابه دائم .

فقال كمال :

ـ لا ٠٠ لأ ٠٠ أنت فهمتنى غلـــط ٠٠ دى أحـــد تجاربـــه علـــى المجنونة ٠٠

فقال آرثر :

ـ المستنسخة يعنى ؟٠٠ دى تبقى معجزة ٠٠ علشان كده أنا بـــقطع آلاف الأميال وأزوره ٠

وبعد فترة والسيارة تسلك الطريق الدائري إلى مدينة نصر استكمل آرثر حديثه قائلاً :

ـ مش عارف ليه أبوك معزول عن الناس ، وبيشتغل في صمت يـــا ريت يوافق على الهجرة .

فقال كمال :

ـ مش ممكن ٠٠ ويسيب المجانين لمين ؟

فقال آرثر معقباً :

ـ أنا عندى له مشروع رائع ٠٠ ح يخلصه من المجـــانين ، وفـــى نفس الوقت ح يبقى ملياردير .

ثم قال كمال :

ـــ إنت عارف بابا ٠٠ ما تهمهوش الفلوس قوى ، قد أبحاثه .

ووصلت السيارة إلى الفيلا ، وقوبل آرثر بترحاب بالغ ، وخاصة من الأم التي أعدت عشاءً مصرياً أسال لعاب آرثر، مما جعل شكري يسارع بتقديم المأدبة قائلاً :

ـــ زمانك ميت من الجوع يا آرثر .

وعلى مائدة العشاء افتتح آرثر الحديث بقوله :

ـــ يا دكتور شكري ٠٠ إيه رأيك لو نجعل الطابق الثالث غرفة جراحة ونمدها بأحدث الأجهزة ؟

فقال شكري ساخراً :

ـــ ح نقلبها مستشفى واللا إيه يا آرثر ؟

فقالت الأم :

ـــ والله فكرة ٠٠ على الأقل نستفيد من النسخ المزعج اللي تحت .

وسحب كمال قطعة من اللحم المشوي وناولها لآرثر قائلاً :

ـــ تعرف يا دكتور آرثر ٠٠ أنا من زمان بفكر في الموضوع ده بس ده محتاج تكلفة عالية وتجهيزات فنية ٠٠

فقال آرثر وقد اطمأن إلى حجم القطعة :

ـــ أنا ح ساهم في التكلفة ٠٠ وبخصوص التجهيزات دى مسؤليتي المهم يوافق العجوز .

فقال الأب وقد أصابته غصة ·· فتناول كوباً من الماء سكبته لـــه زوجته :

ــ أنا موافق .

فاعترى الجميع فرحة غامرة ·· ثم استكمل شكري حديثه قائلا :

ــ المشكلة إن أي نسخ ممكن يموت بعد ما ننزع أي عضـــو مـــن أعضائه ، وخاصة القلب أو المخ ·· وطبعاً من الصعـــب اســتخراج تصريح بالدفن .

فقالت الأم :

ــ مش مشكلة ندفن في الحديقة الخلفية للفيلا ·· المهم نبدأ بتجـــهيز الطابق الثالث .

وانتهت المأدبة وتجرع الجميع كؤوس الخمـــر نخــب المشــروع الجديد وقال الأب لآرثر :

ــ كمال أخذ الدكتوراه بتقدير امتياز .

فقال آرثر بابتسامة :

ــ حسناً ·· كأساً آخر نخب الدكتوراه ·· لكن يا كمال أوعى تعمل زي أبوك .

فقال كمال :

ــ بابا له ظروفه الخاصة ·· المهم أنا عايز أطمئن على طبيعة مـخ النسخ الأكبر سناً ··أنت عارف إن بابا استنسخه من أحد خلاياي .

فقال آرثر معقباً :

ـ التدخل الجراحي ممكن يأثر عليه ويموت ٠٠ وأنا كتبت تقرير سابق عنه من حوالي عشرين سنه تقريباً .

وقال الأب بعذ أن شرد بذهنه لفترة :

ـ أكيد موجود تحت في المكتبة ٠٠ سأبحث عنه جيداً .

وبينما هم كذلك في نشوة المشروع الجديد والدكتوراه ، وزجاجات الخمر تقرع كؤوسهم وهى تسكب ما فيها ، حتى تعالت فجأة صرخات المجنونة بتكرار مدوي فزع له الجميع فقالت الأم على الفور .

ـ إنه المخاض ٠٠ إنها تلد ٠٠ هيا بنا .

ونزل الجميع إلى البدروم ٠٠ وأضيئت أنواره ٠٠ ثم توقفوا فجأة لقد كانت المجنونة ملقاة على ظهرها ورأسها تتجه إليهم ، وبكلتا يديها كانت تمسك بأسياخ الحديد المدعم لقفصها ، وتهزه بعنف وترفع ساقيها لتضغط بشدة على بطنها وتصرخ بحدة ، والقش من تحتها مبلل تماماً بسائل لزج يميل إلى الاصفرار ، ولم يستطع أي منهم الاقتراب ، أما بقية المجانين الأربعة فكانوا يزومون بتأوه كأنهم يضحكون أو يبكون ويهزون مع أنينها أقفاصهم ليشاركوها آلامها ، كما لو كانوا يتوعدون من هم بالخارج بشيء ما .

لقد رأت الزوجة وهى متوارية خلفهم ، رأس الوليد وهى تطفق خارج الرحم ، وآلية الولادة تدور بحزق الوالدة وصراخها ، وهم بالخارج ، فرحون بنجاح التجربة ، بينما الخوف والقلق يتلبد بشكري وكمال على حال الجنين خشيه انتقال الجين الموروث والمتسبب في حال المخ وكساده ، لتجعل الطفل حيواناً في هيئة آدمية .

وانتهى المخاض وتمت ولادة أول نسخ من نسخ ، واحتضنـت الأم الذي يصرخ بشدة بأحد ذراعيها وتلعقه ، بينما أخذت باليد الأخرى تشد المشيمة إلى خارج رحمها ، والكل في ذهول لهذه الولادة ، ويتسـاءلون كيف لقنت هذه المجنونة هذا التصرف الذي يحتاج إلى طبيب متمـرس لإتمامه ؟ .. كيف شعرت أن الحبل السري لابد وأن يربـط ويقضـم لينفصل الطفل كاملاً عن أمه ؟ .. وحينما احتضنته أخذ يبحث عن أي نتوء يمضغه فأعطته نهدها فسكت صراخه ، وهدأ باله واسترخت بينمـا أنفاسها تتلاحق متسارعة ، وصدرها يعلوا ويهبط بنفس السرعة ومـن حين لآخر كانت تتشنف ، كمن صمت عن بكائه فجأة .

كانت الدكتورة تنوى أن تتم الولادة بواسطتها بعد تخدير الأم كمـا درست في كلية الطب ، وتبقى لها السيطرة علـى الطفـل لدراسـته ، ولكن كيف لها أن تمد الأم بالغذاء وهى حانية على الطفـل كـالوحش الكاسر تحميه ، لابد من وسيلة سريعة لانتزاع الطفل حتى تجرى عليـه الدراسات والفحوصات ولذلك اهتدت الدكتورة إلى جلب قطع من اللحـم والخبز والماء الممزوج بالمنوم ، ثم دستهم بخفة إليـها وإلـى بـاقي المجانين ، فهدأت ثورتهم وراحوا في ثبات عميق .

ثم تسلل شاكر وكمال إلى القفص ففتحوه ، ثم حاولوا بكل جـهدهم أن ينتزعوا الطفل من بين ذراع أمه الملتف حوله بأقوى من سـياجهم الحديدي .

ولما خلصوه منها وجداه جثة هامدة ، فتاهوا جميعاً في حسـابات واقتراحات عديدة حول موت الطفل الذي كان صراخه يملأ المكان منـذ قليل ، وبدأ دور آرثر ليبحث عن سر موت هذا المولود .

الفصل الخامس

وعادت دولت من قسم الشرطة مع حسين المجذوب وقد ارتــوى عطشها خلسة من الموجودين لتزداد عطشاً إلى رجولته الغير موظفــة وإلى وسامته الهمجية الغير مستفاد منها ٠٠ ودخلت بيتها لتفـاجئ زوج أمها المتغطرس وهو لا يملك ثمن شخطه وفوراً قالت :

ــ أنا أخته رسمي بأمر الحكومة ٠٠ أنا مضيت قدام الضابط علــى كده ٠٠ لو عملت لي أي حاجة أروح أعمل فيك بلاغ حالاً ٠٠

ودخلت غرفتها بعد أن تركت أمها وزوجها في وجوم ٠٠ وخلعت نعليها الأسود اللميع ووضعته تحت سريرها الخشبي ذي اللــون البنــي المتهالك بفرشه البالي ٠٠ ثم اتجهت نحو دولابها ذي المرآة المكســورة المعلقة على الضلفة التي تفصدت عن مفصلتها لتحيد عــن موضعــها الطبيعي ٠٠ ثم دست يدها بين هلاهيلــها لتســتخرج جنيــهين كــانت تدخرهما لشراء طلاء الشفايف ٠٠ ولكنها الآن ســتصنع بــهما حفــلاً لعودة حسين إلى الحارة ٠٠ ستشترى بهما النابت ليسعد معها هــي وأم حسين وبقية أهل الحارة ٠٠ ثم دست الجنيهين في صدرهــا وســحبت زحافتيها اللامعتين وخرجت إلى حيث أتت قاصدة بيت أم حسين ٠٠

وهى في طريقها اشترت كيلوين من النابت ثم جرت فرحــة إلــى العجوز ٠٠ وأشعلت وابورها الجاز وملأت الحلة الفضية من الداخــل وكاملة السواد والهباب من الخارج بالماء ، وأســقطت فيــها النــابت وعصير الليمون ، وأضافت الملح والكمون وكافة المعونات الخارجية ، من أهل الحارة ٠٠ بينما المجذوب جالس على أحد الحجارة بالمدخل لا يدرى ماذا يصنع أهل هذا الوطن الآمن ٠٠ ولكنه ينظر إليــهم بأنفــة غير مذعور ٠٠وأعجبه منظر النار وهى تخرج من رأس الوابــور ٠٠ فهرول إليها ليقطفها ظانا أنها طعاماً ٠٠ فلما حرق اللهب يده ٠٠جذبها

بسرعة وهو يعوي ٠٠ فصرخت عليه العجوز ، وجرت إليـــه دولــت وهى تشهق ثم سحبته من يده إلى صنبور الحائط بالحمام وأسالت عليها الماء ٠٠فبدأ يشعر براحة ٠٠ وقل عويله ، وهو ينظر نحـــو عيــون دولت كأنه يشكرها فقبلته في جبينه ، وهى تضمن أنه لــن يفضحـــها ، لينسى تماماً آلام يده ٠

ولما فرغ طهي النابت أطفأت دولت الوابور ٠٠ وقامت أم حســين من جوار المجذوب لتأتى بالخبز البلدي الذي تحتفظ به بغرفتها حتــى لا يأتي عليه المجذوب فهو شره جداً للطعام ٠٠ وأخذت أم حسين تفتـــح جانبا من الرغيف ثم تناوله لدولت حتى تضع به مقــدارا محــددا مــن النابت ، ثم ترصه بانتظام على قفص العيش ٠٠ وبينما دولت منهمكـــة في هذا العمل ٠٠ توقفت للحظة ، فأخذت أول رغيف ملأته بالنـــابت ، ثم زادته قليلاً وناولته للمجذوب الذي لم يسقط نظره عنها ٠

وهم في وطيس العمل علا صوت أم حسين بالغناء قائلة :

ــ قلبي على ولدى داب ٠٠ لا تلوموني

ده هو عين الأحباب ٠٠ وشلته في عيوني

وإن يوم عنى غاب ٠٠ ابقوا ادفنوني

ثم وهى في الشطر الأخير من الأغنية تأزمت دولت متشائمة منـــه فقالت :

ــ ليه يا أم حسين اخص عليكي ٠

ثم اندمجت معها في الغناء وسحبت الحلة بعد أن فرغ ما فيها مـــن نابت وجردت ، ثم أخذت تطرق عليها بإيقاع راقـــص منتظـــم وأهـــل الحارة كباراً وصغاراً يهلون رويداً رويداً مصفقين على هـــذا الإيقـــاع

واستلمت أحد الفتيات المتخصصات في هذا الإيقاع ٠٠ الحلة من دولت لتواصل عليها النقر ٠٠ بينما دولت تحزم خصرها وترقص على هـــذا النقر ٠٠ والمجذوب من خلفهم يسحب رغيفاً تلـــو الرغيــف يلتهمـــه والأكف تشتعل بالتصفيق وتشترك الصغيرات مع الكبيرات في الرقـص والغناء ٠٠ والأبيات القديمة في الغناء تنتهي لتحـــل محلـــها الأبيـــات الحديثة التي أرسى قواعدها أحمد عدوية وكتكوت الأمير .

وأتى المجذوب على كامل الأرغفة ، وأصيب بتخمة ، أخذ بعدهـــا يعوي في هذا الحفل الغنائي الراقص ، ويعلـــو عـــواءه ، ولكـــن مـــن يستطيع سماعه ، كل من في هذا المسرح له واد خاص ، فلما اشتد ألـــم المجذوب ، قام من ركنه المعهود وهو يقبض علـــى معدتـــه مخترقـــاً بعوائه وفود الحارة المشاركين ، قاصداً دولت فهي مطيبة آلامه .

ثم ارتمى على صدرها وهو يعوي بصوت عال ، فظننت أنه جـــائع ثم نظرت إلى قفص الوليمة ونظرت إلى بطنه المنتفخة ٠٠ وما هي إلا دقائق حتى جاء الإسعاف وحمله ومعه أم حسين ودولت .

طبعاً المسافة من الجمالية إلى مستشفى الحســـين الجـــامعي تعـــد بالأمتار ولو كانوا حملوه مترجلين لوصلوا أسرع مـــن الإســـعاف ٠٠ حتى كادت أم حسين تخرج رأسها من نوافذ السيارة وتســـب أصحـــاب السيارات الأخرى المكدسة بشارع الدراسة ، وهى لا تتحرك ٠٠ وكلما يراها السائق على حالتها تلك ، يزيد من عويل سيارة الإسعاف ليغطـــي عويل المجذوب داخلها .

ثم أخيراً وصلت سيارة الإسعاف فأســـندوه حتـــى دخـــل غرفـــة الطوارئ ومددوه على سرير الكشف ٠٠ وبعد فتره جاء طبيـــب مـــن المعينين حديثاً بالمستشفى وأخذ يضغط على مكان المعدة المعتـــاد فلـــم يجده فسأله :

ـــ أنت أكلت ايه ؟

فرفع حسين أكفه ٠٠ فلم يفهم الطبيب ، ولكنة أدرك بفطرته أنـــه أخرس ٠٠ ثم التفت إلى أم حسين قائلاً :

ـــ أنتي أكلتيه ايه يا حاجة ؟

فقالت أم حسين بصوت حزين :

ـــ أبداً يا ابني ٠٠دا هو من ورانا أكل عشرين رغيف مليانة نابت .

فقال الطبيب مندهشاً :

ـــ عشرين رغيف ولم تنفجر المعدة ٠٠ أو يختنق ؟

ثم أخذ يناوله في محاليل ٠٠ وإبر ، وغير ذلـــك مـــن أصنـــاف العلاج لمثل هذه الحالة ثم يدخلونه الحمام إلى أن هدأ حاله ، ولكن لفت انتباه الطبيب وضع المعدة المخالف الذي درسه بالجامعـــة ٠٠ فـــأمر بحجزه حتى تأخذ له صور الأشعة المختلفة والتصوير التلفزيوني لكامل أعضائه الداخلية ٠٠ ويتزايد اضطراب أم حسين ودولت عليه .

وأنعقد مجلس الأطباء المتخصصين ذوى الخبرات العالية يدرسون هذه الحالة البشرية الفريدة ٠٠ وليس لديهم غير سؤال واحد هو :

ـــ أيعقل أن يعيش إنسان بكلية واحدة كبيرة الحجـــم يلتـــف حولـــها البنكرياس (الطحال) ومن فوقهم معدة مجترة مستعرضة يرسى عليـــها كل من القلب والكبد ٠٠ بينما له بالونة رئوية واحدة وحنجرة بلا أحبال صوتية وفم ليس فيه لسان مزمار ؟

ـــ إذن ما هو نوع هذا الإنسان ؟

تلك الأسئلة كانت سبباً في حجزه للدراسة مـــدة شـــهراً أو يزيـــد للدراسة العلمية ، وقد توفر له كافة الخدمات وغرفة خاصة ويسمح لأن تبيت معه أم حسين أو دولت.

والمفاجأة الأخيرة للأطباء هي حالة المخ عندما صوروه بأجـــهزة خاصة لديهم ٠٠ لقد ثبت عدم احتوائه على أي تجـــاعيد ٠٠ ويوجـــد على شكل قطعتين ملتصقتين ٠٠ ولذلك كان لابد وأن يسألوا أم حســين عن طبيعة وشكل الولادة ٠٠ وكيف لم يلحظه الطبيب المباشـــر علـــى الولادة فقالت أم حسين :

ــ أبداً يا دكتور ده حسين ابني ٠٠ أنا لقيته جنب الحسين ٠٠ وسـنة كدة بيجي عشر سنين .

فقال طبيب لزميل له :

ــ بس ده هيئته الخارجية لإنسان كامل حاد الذكاء ٠٠ حتى بالقيـلس لا يحمل أي دليل من دلائل لامـــبروزو ٠٠ إنمـــا التكويـــن الداخلـــي لأعضائه هي لحيوان بدائي .

فقال طبيب ثالث :

ــ عجيبة ٠٠ ! أول مرة تمر على حالة شاذة زي دي

ثم انعقدت المؤتمرات الصحفية والطبية لدراسة هذه الحالة الفريـــدة وذاع صيتها على صفحات الجرائد بكافة أنحاء العالم .

الضابط المتغطرس سامي جمع حمله مـــن العســكر والمخــبرين وأمناء الشرطة ، وذهب لتأديب الجمالية ويعلمها درساً لن تنساه ولـــن يأبى بأي استعطاف أو يخضع لأي قوة مهما كانت أن تستميل قلبــه ٠٠ أيوجد على ظهر البسيطة من يستهزئ بسامي ويخدعه ، ولا يزال على قيد الحياة ؟!

ثم دخل الجمالية على حين غرة من أهلها ٠٠ وتوقف أمام بيـت أم حسين المتهالك ٠٠ ونزلت العسس شاهرين الرشاشـــات والمسدســات والقنابل المسيلة للدموع ومن خلال مكبر الصوت اليـــدوي والضـــابط سامي من خلاله وبأعلى صوته ينادى :

ـــ سلم نفسك يا كمال يا شكري المكان كله محاصر مـــش ح تقــدر تفلت من ايدينا المرة دي .

ثم اقتحم البيت المتهالك وانقسم الغزاة إلى فريقين ، الفريـــق الأول كسّر باب الغرفة الخاصة بأم حسين وأخذوا يفتشون كل ســنتيمتر مــن الغرفة خلف اللمبة الجاز، وداخل صحارة ملابسها البالية والتــي لــها فائدة أخرى ٠٠ حيث أنها تستخدم كسرير للنوم .

أما الفريق الثاني كسر باب الحمام فهاجمتهم الرائحـــة الكريهـــة ، فأخذوا يسدون أنوفهم بأيديهم وهم يعلنون للضابط سامي المتغطـوس أن المجرم الهارب من العدالة قد هرب من المكان ولا يوجد أدنى أثر لـــه فيخبط الأرض بقدميه قائلاً لأهل الحارة وقد أطلــق رصـــاصتين فـــي الهواء تهديداً ، وبصوته العالي قال متوعداً :

ـــ إذا كان حد مخبيه ٠٠ أنا ح أسمح له بخمس دقائق ٠٠ بعد كـــده أنا مش مسئول عن اللي ح يحصل .

ثم تخرج امرأة عجوز تقول بجرأة :

ــ أنتم بدوروا على مين يا ابني ؟

فرفع إليها مكبر الصوت قائلاً من خلاله :

ــ بندور على الزفت كمال شكري اللي ساكن هنا ، وعامل مجنـــون ومسمي نفسه حسين ٠

فقالت العجوز :

ــ ده هو في مستشفى سيدك الحسين ٠٠ من زمان .

فقال الضابط وكأنه يعلم مكانه من قبل ٠٠ وسينقض عليـــه علـــى حين غرة :

ــ مستخبي هناك يا عني ٠٠ هوه ح يروح منى فيـــن ؟٠٠ أنـــا ح جيبه لو كان في بطن أمه ٠٠ اجمع الفرقة هنا ٠٠

ثم أخذ ينهر أهل الحارة حتى يغادروا المكان آمـــراً اثنيـــن مـــن العسس لحراسة البيت ، وبينما رشق الحارة بالمخبرين المعروفين فـــي كافة أنحاء الجمالية لمراقبة المكان والقبض على الهارب (المجذوب) ثم اتجه بالحملة فوراً إلى مستشفى الحسين الجامعي ، وعند الاســـتعلامات سأل الموظف المختص من طرف منخاره المعقوف :

ــ فيه نزيل عندكم اسمه كمال شكري ؟

فرفع الموظف عينيه من على مستنداته ، فوجد الضابط ومن حوله العسس المدجج بالسلاح والرشاشات ٠٠ فأخذ يبحث لاهثاً عن الاســـم ،

في ملفاته دون أن ينطق ببنت شفة ·· وبعد فترة مـــن البحـــث ســـأل الضابط :

ـ هو جه عندنا من امتى يا سعادة الباشا ؟

فرد الضابط وقد بدأ يمل من الموظف :

ـ من حوالي شهر .

فعاد الموظف ليسأل :

ـ وده جاي مترحل من القسم ·· أو هو مريض عادى يعنى ؟

فقال الضابط بنرفزة :

ـ لأ ·· نزيل عادى ·· وشوف شغلك بسرعة ·· وبـــلاش كـــتر كلام .

وبعد أن استبدل الموظف دفاتر تسجيل الـــنزلاء ·· فتـــح ســـجل المقيدين منذ شهر وظل يطالع فى أسمائه ·· وحينما اســـتقر بإصبعـــه على الاسم المطلوب قال :

ـ أيوه أهه يا باشا ·· كمال شكري من قليـــوب الســـن ٦٥ ســـنه مريض بالقلب فثارت ثورة الضابط ثم قال لاعناً :

ـ قلب إيه وهباب إيه ·· بقول لك شاب في الأربعين ·· تقول لـــي عجوز وعنده خمسة وستين سنه ··

ثم عاد ليوضح للموظف اسمه المستعار قائلاً :

ـ طب شوف عندك كده ·· يمكن يكون اســـمه حســـين ·· هـــو مجذوب .

ولم يستكمل الضابط كلامة حتى قاطعه الموظـف دون أن ينظـر إلى الدفاتر قائلا :

ـ أيوه كده يا باشا ·· ده في القسم المخصوص ·· حالـة شـاذة يعنى .

ثم قال الضابط :

ـ والقسم المخصوص ده فين ·· في أنه دور عندكم .

وأصطحبه أحد مسئولي الأمن إلى الدور الثالث بالمستشفى حيـث الجراحات المستعصية للحالات النادرة والبحوث الطبيـة ·· وحينمـا تقابل مع الطبيب مدير الجناح بهيئته الوقورة ويغطى ملابسـه الفخمـة بالطو أبيض ، ويضع على عينيه نظارة طبية ، ويضع حـول رقبتـه سماعة ·· ونهض من على كرسيه أمام مكتبه المعدني المطلي بـاللون الأبيض ·· بينما وقف العسس خلف الضابط ليدعموا هيبتـه ·· ثـم سأل قائلاً :

ـ فيه عندكم مجرم خطير ·· منتحل صفة مجنون واسمة حسين ؟

فقال الطبيب :

ـ أيوه ده حكايته حكاية ·· متخلف وحالة شاذة طبياً ·· أنت مـا قريتش الجرايد من كام يوم ؟!

وتشكك الضابط في البيانات التي يحملها عن كمال شـكري الـذي يعمل أستاذاً مساعداً بكلية العلوم للكيمياء الحيوية ويحمل نفس بصمـات المجذوب فعاد ليسأل الطبيب :

ـ ده أستاذ مساعد بكلية العلوم .

فقال الطبيب مستغرباً :

ـ أبداً ٠٠ الفحوصات اللي عندنا بتقول غير كـده خـالص ٠٠ ده حيوان في صورة إنسان ٠

فقال الضابط مستفسراً :

ـ هل من الممكن تشابه البصمات ؟

فقال الطبيب :

ـ لم يثبت علمياً تشابه البصمات ٠٠ قد يكون هناك خطأ بالبصمـة أو خطأ في إدخال البيانات .

فقال الضابط يعلم الطبيب أن عملهم يتم بمنتهى الدقـة ولا شـبهة فيه :

ـ فكرنا في كده ٠٠ وأعدنا استدعاء البيانات أكثر مـن مـرة ٠٠ وكانت هي هي لم تتغير .

فأقترح الطبيب العودة إلى شخصية كمال شـكري بكليـة العلـوم وعمل التحريات اللازمة ٠٠ وطلب الضـابط زيـارة حسـين فدخـل الطبيب عند المجذوب مصطحباً الضابط ، فلما رآه المجـذوب ، رفـع أكفه فطأطأ الضابط رأسه بعطف ليسأل الطبيب .

ـ أنتم بتراعوه كويس ؟ ٠٠

فقال الطبيب :

ـ ده حالة فريدة من نوعها ٠٠ ولم تتكرر منذ بداية الخلـق إلـى اليوم ٠٠ فكيف لا نرعاه ؟

وأنصرف الضابط بعسسه بعد أن أمر مدير المستشـــفى بـــالتحفظ على حسين لحين استكمال التحريات ٠٠ بعد ذلك حضرت أم حســـين ودولت مصدر أمن المجذوب .

الفصل السابع

لم يعتمد العميد سامي على رتبة أقل ، للبحث عن الدكتور كمال شكري بكلية العلوم ٠٠ فالقضية وغموضها أثارت شهوته البوليسية ، فآثر أن يذهب وحدة في زيه المدني دون إثارة لأي نوع من الاضطرابات أو الشبهات ٠٠ ولما اخترق المدخل الرئيسي لبوابة الجامعة بالعباسية مترجلاً ، حيث كانت كلية الآداب أول ما التقى به بصره ، وتقع على يمين الداخل ٠٠ والطلبة والطالبات ثنائيات وجماعات تعج بالمكان بحرية فأثيرت غريزته بشهقة ٠٠ تمنى التحاقه بها أيام الصبا والشباب وفتولة العضلات وكم كانت كفيلة لاصطياد هذا الجمع الغفير من البنات ليوقعهم في حبه ٠٠ وهو بينهم كهارون الرشيد ٠٠

وبعد كلية الآداب ، كلية الحقوق حيث ذكرته بكلية الشرطة التي التحق بها ومغريات زيها ونفوذها بعد ذلك ، ثم جعلت منه ألعوبة في يد المجرمين ٠٠ ولكن هيهات لهم ٠٠ إنه يضرب عليهم بيد من حديد ثم جذب نظره هذا القصر الفخم من الجهة اليسرى بحديقته الواسعة الخضراء ٠٠

وبينما هو هائم في ذكريات الصبا سواء التي كان عليها أو التي يتمناها ٠٠ وصل إلى كلية العلوم ، ذات المبنى الضخم وتقع في الصدارة للداخل إلى الجامعة مترجلاً ٠٠ ثم سأل أول شخصية من الكبار سناً أين تقع مكاتب أعضاء هيئة التدريس بهذه الكلية المشهورة بأحماضها الكريهة ٠٠ وعلومها الصعبة ٠٠ ويسائل نفسه كيف يتحملها الطلاب.؟ ٠

وعلم الضابط سامي أن مكتب الدكتور كمال شكري بالمبنى الآخر فذهب إلية.، ودخل معمله وهو يسد أنفة من شدة الروائح النفاذة

الخارجة من هذه الغابة الكثيفة مـــن الأنــابيب الزجاجيـــة والـــدوارق المنتفخة المحتوية على سوائل ذات ألوان مختلفة ٠

كان الدكتور كمال يقف أمام أحد هذه المخابير التي تـــرص علـــى قاعدة ملتهبة بنار شبه زرقاء ٠٠ والسائل بداخلها ينتج فقاقيعاً تخــــرج من باطنه راقصة حتى تخرج من سطحه فتنفجر والدكتور ينظر إليـــها بعمق ، ويقرأ درجات الحرارة وظهره إلى الضابط ٠٠ بينما تجلس فـي ركن بعيد من أركان المعمل سيدة تقترب من الثلاثين من العمر وتنظـــو هي الأخرى خلال مرقابها المكبر (الميكرسكوب) ٠٠ فيتذكر الضــــابط أيام طفولته وهو يشاهد البيانولا ٠٠ وحكايات أبو زيد الهلالي ســـلامة ثم حمحم ليؤذن له ٠٠ ولكنه لم يجد صدى لحمحمته ٠٠ فـأضطر لأن يطرق الباب بشدة قائلاً بصوت مرتفع أو كأنه يريد أن يسأل مين فيكـــم كمال شكري ولكنه قال :

ـــ أقدر أدخل فألتفت له كمال شكري ٠٠ فارتفعت حرارة الاندهـــلش عند الضابط لتصل إلى قمتها وهو يرى المجذوب أمام عينيــــه عالمـــاً كامل الهندام والثقافة والعلم ويرفع كف يده اليمنى ويشاور أثنــــاء رفـــع حاجبيه قائلاً :

ـــ إتفضل .

ولم يسأل كمال عن اسم المضيف أو هويته . ثم جلسا متقـــابلين ، وبدأ كمال حديثة قائلاً :

ـــ مين حضرتك ؟

فقال الضابط معرفاً نفسه ، وقد ضمن أحد جذور القصة :

ـــ أنا العقيد سامي الدهشوري رئيس المباحث ٠٠ نقدر نقعد لوحدنـــا شويه ؟

انصرفت السيدة من تلقاء نفسها ثم قال كمال وهو يرد اعتباره مـن تهديد الضابط :

ــ تحقيق يعنى واللا إيه ؟

فقال الضابط ليهدئ من طبع كمال :

ــ لأ هو مش بالشكل ده ٠٠ إنما إحنا قدام قضية غريبـــة ٠٠ مـا هياش جريمة و لا حاجة إنما ٠٠ تشابه تام بينك وبين شخص آخـر ٠٠ حتى في البصمات٠٠و ده موضوع أنت مش شايف إنه غريب شويه .

فتلكأ كمال في الإجابة ٠٠ نظرا لهياج فكره المفاجئ ثم قال :

ــ آه طبعاً ٠٠ غريبة جداً ٠٠ لأنه مافيش بصمات متشابهة ٠٠ لو كان الشكل والوجه معلش٠٠ إنما بصمات ؟٠٠ عمرها ما حصلت .

وسكت كمال قليلاً ثم قال:

ــ طيب وأنا علاقتى إيه فى الموضوع ؟

فقال الضابط :

ــ ماهو هوه ده اللى أنا جاى علشانه ٠٠ كل اللى أنا طالبه زيـارة لبيت بابا .

فقال كمال متلكئاً ومتلعثماً ومستاءاً من هذا النوع السـخيف مـن الزيارات :

ــ طبعاً ٠٠ طبعاً ٠٠ حضرتك تشرف فى أى وقت .

ثم طلب الضابط العنوان تفصيلاً ٠٠ فأخذه مكتوباً ورحـــل إلـــى مدرية الأمن تاركاً الدكتور كمال فى دوامة لا يعلم مداها إلا الله .

ولملم الدكتور كمال أوراقة داخل حقيبة ثم خلع البـــالطو الأبيـــض وصعد وعلامات الحيرة والقلق تهاجم وجهه إلى رئيس قســـم الكميـــاء ليستأننة ، أو يستمد منه الأمن والأمان ، ثم ألغى المحاضرات المتبقيـــة وركب سيارته قاصداً الفيلا الخاصة بوالده بأطراف مدينة نصر ٠٠ ثـــم ركن سيارتة بالخارج خلف سيارة أودى حمراء لفت إنتباهه ولكن لـــم يبد أي أهمية ، وصعد عدداً من الدرج المطعم بالرخام وعلـــى جانبيـــه أنواع من الزروع المزهرة ٠٠ ثم ضغط زر الجرس الكهربى وطـــرق الباب ، الأثنين معاً وفتحت الباب سيدة لا تقل عن السبعين من عمرهـــا يتسم وجهها المجعد الخمرى بثقافة عالية وتغطى رأسها بطاقية الحجاب الشهيرة (البونيه) ٠٠ كما كان يجرى خلفها كلب صغـــير أبيـــض ذى شعر ناعم كثيف ٠٠ أخذ الكلب يهز ذيله ويـــتراقص بجســـده ورأســـه فرحاً بقدوم كمال ولما التقتا عينا الأم والإبن سأل الأخير أمه بلهفة :

ــ فين بابا ؟

فقالت الأم على الفور :

ــ فى الدور الثالث مع آرثر ٠٠ فيه حاجة يا كمال ؟

فقال كمال وقد تملك القلق والخوف منه تماماً :

ــ مصيبة ٠٠ النهاردة جاء لى ضابط شرطة ٠٠ وإديتة العنـــوان وممكن يطب علينا فى أى وقت ٠٠

ثم إعترت الأم ربكة بالعدوى من إبنها فقالت :

ــ ليه يا إبنى ؟٠٠ خير

فقال الإبن شبه مفسراً :

ـ قبضوا على المجنون .

فقالت الأم متذكرة .. أو كأنها تتظاهر بالتذكر .. ولكنها تحـــافظ على إخفاء الحقيقة :

ـ المجنون .. إمتى ؟

ـ معرفش .

ثم إتجهت الأم نحو الأنتركوم وضغطت على زر المحادثة قائلة :

ـ يا شكرى تقدر تنزل دلوقتى .. كمال هنا وعايزك ضرورى

ثم قال الأب بصوت .. كأنه يمضغ شيئاً ، أو يضع فى فمه كتلـــة من اللبان :

ـ أنا نازل حالاً .

ونزل الأب ذى اللحية البيضاء الكثيفة غير الكاملة يتخللها بعـــض الشعيرات السوداء ويتدلى من فمه غليونه البنى الداكن الذى لا يفـــارق فمه .. مما جعله يتكلم بأنفة وشموخ ، إستمده من قبضة شفتاه علـــى هذا الغليون .. أما لون بشرته فيقترب من اللون الأبيض .. وملبســـة يدل على ثراء واسع .

قال الأب بعد أن حياه الإبن بجفاف :

ـ ايه الحكاية ؟

قال الإبن منفعلاً :

ــ البوليس حقق معايا النهارده فى حكاية المجنون .

فقال الأب بثقة .. أو كأنه يريد أن ينتزع الخوف المتلبد بإبنه :

ــ وإيه يعنى .. أنا حققوا معايا من حوالى شـــهر .. وأنكــرت صلتى به .

فقالت الأم باستياء من إخفاء الزوج لحقيقة كهذة :

ــ لكن إنت ما قلت ليش يا شكرى الموضوع ده قبل كده .

فقال الأب مبرراً :

ــ الموضوع ما يستاهلش .. إجراءات تحرى عــن مجــهول .. بتعملة الشرطة .. مش أكثر.

فقال كمال موضحاً :

ــ لكن الضابط خد العنوان وإحتمال يجى فى أى وقت يقابلك .

فقال شكرى منفعلاً :

ــ ليه يأكمال إديته العنوان .. قول له مسافر .. أى حاجـــة .. ماكنش لازم تدى له العنوان.

فتدخلت الأم لترفع الخطأ عن إبنها :

ــ لكن إنت ما جيبتش سيرة قبل كدة عن الموضـــوع اللـــى فـــات علشان يحتاط .

ثم قال الأبن محاولاً إثبات ذكائه :

ـــ أنا عامة تركت الموضوع عايم ٠٠ وأنكرت صلتى بـــــالمجنون وأظهرت حسن نيتى لما إديته العنوان .

فقال الأب وقد سره ما فعله إبنه :

ـــ عظيم .

ثم قالت الأم :

ـــ طب وهانعمل إيه دلوقت ؟

فقال الأب لكى يزيل التوتر الذى لحق بالأسرة :

ـــ إعملى لنا قهوة .

ثم جلس الأب على الصوفة الضخمة إلى جوار منفضة الســـجائر الكبيرة ، وجلس الإبن على الكرسى الفوتيه المجاور ثم إســـتخرج الأب أدوات تنظيف غليونه ، وكيس التبغ المســـتورد ، فاللحظـــات المقبلـــة الصامتة مليئة بتفكير عميق ، وتدبير محكم من الأب ٠٠ وعلى الإبـــن كمال أن يتشرب من والده حسن التصرف والتنفيذ الحرفى ٠٠ هذه هى التربية التى نشأت داخل هذه الأسرة الصغيرة الثلاثية ، التـــى عودهـــا الأب على هذا السلوك ، عودها أن يفكر الثلاثة أثناء فترة الصمت دون أن يناقش أى منهما الآخر ٠٠٠ وعند تجمعهم على مائدة العشاء ، تبـدأ المناقشات حامية الوطيس حول الأفكار الثلاثية لتصب فى قالب واحـــد مغلف بفكر الأب ، وبذلك يعتبر الموضوع نهائى ويطرح للتنفيذ حرفيـــاً ولا رجعة فى ذلك .

ولذلك دخلت الأم الدكتورة فيروز بصينية القـــهوة بتثـــاقل وهـــى إستشارية أمراض النساء والتوليد سابقاً ، وقد تفرغـــت الآن للكتابـــة ، فهى تصدر طبعات طبية مبسطة عن أمراض النساء والولادة وتربيـــة

الطفل .. وتتعجب لأمر هذه الأسرة وهو لماذا لا تعتمد على مستخدمين بالبيت ؟.. ملاحظة تستوجب التوقف .. قد يكون بخلاً بالرغم من ثرائهم الفاحش أو يكون حرصاً على أسرار الأسرة أن تتفشى .. فهناك زوجات تحافظ على أسرار بيتها على حساب إجهادها فى أعماله المهنية كالمسح وخلافة .. فربما تكون الدكتورة فيروز كذلك .

وجلست فيروز لتستكمل سيمفونية الصمت ، وإنتهى الأب من تنظيف غليونه وكبسه بالتبغ ثم أشعله ، وسحب نفس عميق تحول بعده التبغ إلى جمرة حمراء ليمتلئ صدرة بدخان ذى لون سماوى .. أخرجه بعد ذلك على شكل سحب بيضاء ضبابية حجبت رؤيا أياً منهم للآخر .. ثم انتشل الأب فنجان القهوة ، وسحب منه أول رشفة جردت سائل القهوة من حبيباتها الغير مذابة ، الطافيه على سطح القهوة (الوش) ..

ومع دقات الواحدة ظهراً قالت فيروز محدثة زوجها وقاطعة هذا السكون العارم :

ــ آرثر طول قوى المرة دى يا شكرى .

فقال الزوج مطمئناً :

ــ لا .. لا قرب ينتهى .

والتفت إلى إبنه كمال قائلاً :

ــ قوم يا كمال شوف الحيوانات اللى تحت .. وحط لهم الأكل وغير الماء .. أنا كنت مشغول قوى .

فقام كمال دون أن ينطق ببنت شفة لينفذ أوامر أبيه .

ثم ألتفت الزوج إلى فيروز قائلاً :

ــ طبعاً كمال ما يعرفش إن أنا هربت المجنون ده .

فقالت الأم ناهية :

ــ لا ٠٠لا٠٠لا٠٠أوعى تقول له حاجة ٠٠ ما صدقنا خلصنا مـــن الموضوع ده من زمان ونسى شكلة .

حينما نزل كمال إلى الحيوانات تعالى صوت عويلهم الجمـــاعى ، فقالت الزوجة على الفور :

ــ ما تبقاش تتأخر عليهم تانى بـــالأكل ٠٠ إنـــت عـــارف ، دول مصدر خطر ٠٠ لحد ما نتخلص منهم .

فقال الزوج :

ــ عندك حق يا فيروز ٠٠ أنا ما بقيتش طايقهم ٠٠ آرثر قال لـــى فى خلال شهر مش هايكون فيه حد منهم على قيد الحياة .

الفصل الثامن

خرج العقيد سامى من عند مدير الأمن ٠٠ وقد نسى الظلم الواقـع عليه من جراء نقله إلى القاهره وبدأ يتفاعل مع هـذة القضيـه التـى ستجعل منه بطلاً مغواراً إذا ما فك رموزها وشفرتها٠٠ وحـل عقـد حساباتها اللوغاريتمية .

وقد إستصدر أمراً بعقد عدة زيارات لهذا البيت الذى حفظ عنوانـه وحدده كما لو كان يزوره عدة مرات كل يوم ٠٠ ويلتقى بأفراد الأسـوة ويتمنى أن يشبه الأب صورة الخيال التى كـانت تظـهر إلـى جـانب صورة المجذوب ٠٠ إحتفظ الضـابط بصـورة المجـذوب وصـورة الشخص الخيالى ٠٠ ومعلومات كافية عن الأسرة الثلاثية .

وأنطلق الضابط بسيارة الشرطة وبزيه الرسمى ومعه إثنيـن مـن العسس وتتبعه سيارة أخرى مدنية بها ضابطين من الشباب النشط بـزى مدنى لمراقبة البيت من الخارج ٠٠ ووصل سـامى وصعـد الـدرج بمفرده بينما السيارة المدنية تقف بعيداً للمراقبـة ، والعسسـين ظـلا بسيارة الشرطة أمام مدخل الفيلا وقد إنقضى الغروب منذ ساعة .

طرق سامى الباب بعنف ، فـهو ضـابط ومكلـف ولـم يسـعى للموضوع بشخصه ٠٠ وإنما إتخذ الإجراءات الرسمية الكفيلة بالزيـارة وعدة زيارات أخرى ٠٠ وفتح الباب ٠٠ وكان كمال هـو المسـتقبل والمرحب ٠٠ ولم يتبقى من الوقت إلا ساعة ثم يحين موعد العشـاء ، ودخل سامى وأغلق الباب من خلفة وجلس على الكرسى الفوتيه الضخم وكمال على الكرسى الآخر ثم سأل سامى :

ـ وتخصص حضرتك إيه يا دكتور كمال ؟

فجاوب كمال بثقة :

ـــ كيمياء حيوية .

ثم قال سامى مازحاً :

ـــ ياه ٠٠ كنت بكرهها زمان وأنا فى ثـــانوى ٠٠ مـــش هـــى دى بتاعة يد إثنين كب ألف أربعة .

فقال كمال ضاحكاً وقد أنس لجهل الضابط٠ ٠ولكنـــــه جـــهل مـــا يقصدة الضابط :

ـــ الكيمياء دى هى اللى بتفسر تكوين أى حاجة فى الدنيا .. حتـــى الأنسان .

ثم قال الضابط :

ـــ الله .. يعنى أنتم عرفتوا تكوين الأنسان ؟

فقال كمال وكأنه فى محاضره علميه :

ـــ آه .. لما حللناه وجدنا أنه يتكون من ١٦ عنصر اللى بنلاقيـــــهم فى أى طين.

ثم سأل الضابط ليعلم هل لدى هذه الأسرة نزعة دينية أم تســـيطر عليهم النزعة العلمية فقط :

ـــ يعنى لو عندك حته طين تقدر تعمل إنسان ؟

فقال كمال :

ـــ هو مش بالصورة دى ٠٠ إنما نقدر لو إتوفرت الظـــروف ٠٠ نقدر نعمل أحماض تكون خلايا بعد كدة ٠٠ ومن الخلايا جاء النبات ثم الحيوان ثم بعد ذلك الإنسان .

فقال سامى مندهشاً :

ـــ والخلايا اللى بتقول عليها دى تبقى صاحية كدة وبتلعب ؟

فقال كمال مفسراً :

ـــ أنا بقول لو إتوجدت الظروف ٠٠ عندك بابا مثلاً ٠٠ لما كـــان فى روسيا قبل ما أتولد ٠٠ أخد دكتوراه وجايزه كمان على الكلام ده .

فقال سامى ساخراً :

ـــ يعنى يقدر يعمل بنى آدم زينا كـــده يـــروح و ييجـــى و يـــاكل ويشرب ؟

فقال كمال وقد مل من محاوره :

ـــ الكلام ده حاجة ٠٠ والخلية الأولى دى حاجة تانية خـــالص ٠٠ ثم إن العلم لم يتوصل لصناعة الخلية حتى الآن .

و فى هذه اللحظة يدخل الأب مشعلاً غليونه ٠٠ ثم يلمحة الضـــابط سامى ويتحقق منه جيداً كلما إقترب ولما تأكد تماماً من مطابقة قســمات وجهه و أدق ملامحه للخيال الذى يجـــاور صـــورة المجـــذوب يقـــول الضابط :

ـــ لكن أنا إتوصلت له فعلاً ٠٠

وأرتبك كمال ٠٠ ثم قال الأب سائلاً :

ـــ وإيه هو اللى توصلت له يا حضرة الضابط ؟

ثم إستخرج الضابط مجموعة الصور التى بحوزتـــه ‎٠٠‎ وأنـــتزع منها صورة الخيال بعد أن قام بقصها من قبل وأراها للأب قائلاً :

ـــ تفتكر يا دكتور صورة مين دى ؟

فقال الأب متعجباً :

ـــ دى شبهى تماماً .

ثم إنتزع صورة أخرى تجمع بين الأب وهو الخيال مع المجـــذوب قائلاً:

ـــ وتفتكر حضرتك صورة مين دى ؟

فقال الأب وقد زاد اندهاشه :

ـــ دى شبهى أنا وكمال .

فقال الضابط مؤكداً ما جاء به للأب :

ـــ أنا ها أورى لك حاجة أعجـــب ‎٠٠‎ تجربـــة بســـيطة ذى اللـــى بتعملوها فى المعمل بس أنا مش ح أصنع خلية ولا إنســـان . فـــأرتبك الأب لمنطق الضابط وأسلوب تهكمه ولم يعلق ، ثم إلتفت الضابط نحـــو كمال طالباً منه إبهامه ‎٠٠‎

فرفض الأب قائلاً :

ـــ إنت بتعمل إيه يا حضرة الضابط ‎٠٠‎ معاك إذن من النيابة ؟

فقال الضابط مطمئناً :

ـــ أنا معايا كل الأذون اللى إنت عايزها ٠٠ ثم إن أنا مـــش جـــاى أحقق فى جريمة أنا جاى أتحقق من موضوع محير الشرطة كلها .

ثم إستخرج الضابط من جيبة قطعة من الســـلوفان مطْليـــه بحـــبر أسود سميك ، مسح به إبهام كمال وأخذ بصماته على ورقه بيضـــاء ٠٠ ثم إستخرج صورة البصمة التى أخذها من المجذوب وعدســـة مكـــبرة وراح يطلع الأب والإبن على التشابه العجيب بين البصمتيـــن وتعجـــب الأب أو تظاهر بالتعجب والإندهاش بينما كمال كان متعجباً فعلاً ٠٠

ثم قال الأب :

ـــ عجيب ٠٠ تشابة تام ٠٠ لكن إيه ذنبنا إحنا فى هذا التشابه ؟

فقال الضابط :

ـــ هو ده اللى أنا جاى علشانه ٠٠ وبطلب من حضرتك يا دكتـــور تفسيره .

فقال الأب بغير اكتراث :

ـــ ده مش شغلنا ٠٠ ده شغلكم انتم يا بتوع البوليس .

فقال الضابط مستغلاً نفوذة :

ـــ أنا عارف إن ده شغلنا ٠٠ أنا جاى اسأل حضرتك ســـــؤال ٠٠ هل ممكن يكون فى بصمتين متشابهتين لشخصين مختلفين ؟

فقال الأب نافياً :

ـــ مش ممكن إستحالة ٠٠ إلا إذا . . .

فقال الضابط :

ـــ أهو أنا عايز أعرف إلا إذا دى ٠٠ عموماً أقول لك أنـــا إلا إذا دى تيجي إزاي ٠٠ إلا إذا كان الشخص منتحلاً شـخصيتين ٠٠ لكـن القضية إنه فيه شخصين مختلفين فعلاً ٠٠ واحد مجذوب فى المستشـفى والثانى قدامى دكتور ٠٠ و الاثنين لهم نفس البصمة .

فقال الأب مبرراً ليبعد الشبهات :

ـــ مش جايز فى خطأ عمله الكمبيوتر ٠٠ لما اتغذى بالبيانات ؟

فقال الضابط نافياً :

ـــ لأ ٠٠ لأن احنا كررنا المحاولة عشرات المرات .

فى هذه الاثناء كانت العواءات و المـواءات التـى تشـبه عـواء المجذوب تتعالى من باطن البيت ، شعر بها الجميع ، وفى الخفاء كـان الأب يحاول ان يلفت نظر ابنه إلى هذا العواء ٠٠ فقـال الأب وكـأن الزيارة ودية :

ـــ إنتم مش ملاحظين إن إحنا ماشربناش القهوة ؟٠٠ اتفضـل يـا كمال إستعجل القهوة ٠

ودخل كمال ليس لجلب القهوة ٠٠ إنما لتغذية المجانين ٠٠ ولكـن العواء أثار فضول الضابط ليسأل :

ـــ يا ترى الصوت الغريب اللى سمعته ده بتاع إيه ؟

فقال الأب بإستنكار :

ـــ ده صوت بعض الحيوانات من القردة ٠٠ للتجارب .

وإزداد فضول الضابط طالباً من الأب أن يأذن لــــه برؤيتــــهم ٠٠ فقال الأب :

ــ لأ دول خطر ٠٠ وبتعامل معاهم من خــــلال حواجــز وحقــن بالمخدر ٠٠ كمان بندرس عليهم أمراض فتاكة ٠٠ لا لا لا ٠٠ أخــاف عليكم منهم .

ثم كظم الضابط فى نفسه شيئاً ، وتماسك ليطلب من الأب زيارتـــه بمدرية الأمن فى العاشرة من صباح الغد ومعه كمال لإستكمال التحقيق فتعجب الأب وأعتدل فى جلسته قائلاً :

ــ ليه ٠٠ طالما إن مافيش إدانة بجريمة محددة ٠٠ مش ملاحــــظ إن ده روتين زايد عن اللازم يا حضرة الضابط .

فقال الضابط بعد أن هم واقفاً لينصرف :

ــ ده إستكمال إجراءات ٠٠ علشان نقفل المحضر .

وخرج الضابط ٠٠ ولاحظ أن السيارة المدنية غير موجــــودة ٠٠ بينما سيارة الشرطة تنتظر فأستقلها إلى مديرية الأمن لينقـــل الصـــورة كاملة إلى مرؤوسيه ليرقى بالتخطيط إلى القمة ، وبدأ يفنـــد موضـــوع القضية و يكتشف أسرارها .

أما عن السيارة المدنية وبها الضابطين الشابين بزيـــهما المدنـــى ، فإنها تعقبت سيارة حمراء ماركة أودى ٠٠ وقفت أمام الفيـــلا قليـــلا ، ولما لمحت سيارة الشرطة ، تركت المكان ، وبها شـــخص ذى ســـحنة أجنبية ٠٠ ثم أستقرت بالزمالك فى أحدى الشقق المفروشـــة ، بشـــارع مشهور ٠٠ وتم جمع البيانات من شرطة الزمالك ٠٠ الشـــخص هـــو الطبيب والجراح آرثر تيلر أمريكى الجنسية وبصحبته إيريك جيفرتـــون

ولكنه غير متواجد ٠٠ وقد سبق للطبيـــب عــدة زيـــارات ، بصحبــة أشخاص مختلفة ٠٠ ليس له شبهات من أى نوع ، ولكنه يأتى لزيـــارة بعضاً من المستشفيات الخاصة ٠٠ لكن ما هى العلاقة التـــى تربطــة بشكرى ؟ ولماذا زاغ بعد ما رأى سيارة الشرطة ؟ .

المجذوب بالمستشفى يلقى العناية الفائقة ٠٠ وأحس بداخلة ، أنــه يمكن أن تكون هناك أوطان آمنه ، يمكن أن ينام فيها كثيراً ، ويتلقـــى أيضاً كميات وفيرة من الغذاء ، كما إزداد وسامة بنظافة حتـــى وصــل إلى درجة نظافة كمال ، ودولت أصبحت لا تتحمل فراقه ولو للحظــات ولا تعرف ما الذى يربطها به هكذا ؟٠٠ لماذا تحبه كل هذا الحب الذى جعلها تترك أمها ، ولا تخش زوج أمها ، وتضرب بإهانتـــهم عــرض الحائط ؟٠ أما عن أم حسين فإنها فى أوج سعادتها ، فمجذوبها ســـعيد بأحضان دولت وبأحضان مأواه الجديد ٠٠ وهى الأخرى قد نالها مـــن الحظ جانب ، فتهاجس نفسها بالتباهى به قائلة :

— بكرة يخرج من المستشفى بعد ما يتعالج وهـــو بحلاوتـــه دى ولا ولاد الزوات.

الفصل التاسع

إستوفت القضية خيوطها الواقعية بمديرية أمـــن العاصمـــة وفـــى العاشرة من صباح اليوم التالى كان الدكتور شكرى وإبنه الدكتور كمـال بمبنى مديرية الأمن أمام وكيل النيابة لمواجهة الحقائق ، فســأل وكيــل النيابة الأب بعد أن عزل عنة الإبن خارجاً فقال :

ــ إسمك وسنك وعملك ؟

فقال الأب :

ــ ولو إن أنا مش شايف جريمة أسأل عنها ‥ إنمـــا أنـــا إســـمى شكرى سعد العمر ٧٢ سنة ، وكنت عميد كلية العلوم سابقاً ٠

ــ التخصص والعمل الحالى ؟

ــ التخصص فى الكيمياء الحيوية – وحالياً بالمعاش لا عمل لى .

ــ ما صلتك بآرثر ؟

وتَراجع للخلف مرتبكاً أو كاد أن يرتبك وسأل نفســـة ســـريعاً ‥ ترى هل تم إستجواب آرثر من قبل وفضح أمراً ما ؟‥ ولمـــاذا بـــدأ وكيل النيابة بالسؤال عن صلتى بة ؟‥ لن يفيد الإنكار‥ ثم جـــاوب الأب قائلاً :

ــ صديق ‥ منذ أن كنت فى أمريكا لإستكمال بعض الأبحاث ‥ وكان هو ضمن فريق البحث ٠

فسأل وكيل النيابة :

ــ وما هو عملة بالتحديد ؟

فقال الأب :

ـ جراح .

ثم قال وكيل النيابة :

ـ جراح ٠٠ تقدر تقولى إيه العلاقة بين بحـــوث الكيميـــاء وبيـــن الجراحة ٠٠ مش شايف معايا إن ده مجال ٠٠ ودة مجال تانى ٠٠ أنـــا عايز أعرف نوع العلاقة تحديداً ٠٠ ونوع البحوث ٠

ثم قال الطبيب ولم يجد مفراً من الهروب :

ـ البحوث كانت عن الجينات الوراثية فى الإنســـان ٠٠ وبصفتـــه طبيب ٠٠ إذن العلاقة أصبحت واضحة ٠٠ والبحوث منشـــورة فـــى المجلات العلمية بالجامعة تقدروا ترجعوا لها فى أى وقت ٠

ـ يعنى أقدر أفهم إنك بتعمل تجاربك على الإنسان .

ـ سبق وقلت إنى بعمل تجارب على الحيوان ولما تنجح التجـــارب نعملها على الإنسان .

ـ يعنى إنت لسة بتعمل تجارب لحد دلوقتى ؟

ـ ده علم ٠٠ ما حدش يقدر يمنعنى من ممارسته ٠٠ ثم إنى عـايز محامى يحضر معايا التحقيق .

ـ إنت ليه بتفتكر إنه تحقيق ؟٠٠ دى مسألة مناقشة ٠٠ التحقيـــق بعدين .

ثم قام وكيل النيابة بعد أن ضغط زر الجرس ووقف إلـــى جـــوار الكرسى الذى يجلس عليه الدكتور شكرى ليهدئ من روعه واضطرابــه المفاجئ ثم عاد ليسأله بعد أن جاء أحد العسكر:

ــ تشرب قهوة ؟

ــ ياريت ٠٠ سكر على الريحة .

ولما أشعل الدكتور شكرى غليونه ٠٠ فاجئه المحقق قائلاً :

ــ أنا طبعاً مش ها وريلك الصور ٠٠ أو البصمة إنت سبق شــفتها أنا عايز منك تفسير للموقف .

ــ أنا سبق وقلت للضابط إن ممكن يكون فية خطأ فى الكمبيوتر .

ــ إنت ليه مصر على خطأ الكمبيوتر ؟٠٠ دا إنــت راجــل بتــاع جينات وراثية ٠٠ كمان المجذوب شبه إبنك حتـــى فـــى البصمـــة ٠٠ بيتهيأ لى إن إنت اللى عندك حل للفزورة دى هل من الممكن يكون فيــه سبب علمى ٠٠ غير حكاية الكمبيوتر دى ؟

ــ ممكن .

ــ ممكن ٠٠ إيه هوه ؟

ــ الإستنساخ مثلاً .

ــ أيوه ٠٠ الإستنساخ مثلاً ٠٠ شكراً ٠٠ كده الموضـــوع إنتـــهى حضرتك تقدر تتفضل تنتظر بره وتشرب القهوة .

ثم هم الدكتور شكرى واقفاً ومازال غليونـــه مشـــتعلاً ٠٠ ولمـــا وصل إلى الباب ٠٠ تظاهر وكيل النيابة ٠٠ أنه قد نسى فقـــال وكأنـــه يتذكر :

ــ آه ٠٠ آسف نسيت أسألك ٠٠ هو الدكتور كمال تخصص إيه ؟

ــ نفس تخصصي ٠٠ كيمياء حيوية .

ــ شكراً ٠٠

ونظر إلى العسكرى الواقف بالباب ٠٠ ثم أمره :

ــ إنده لى الدكتور كمال شكرى .

وحضر الإبن وأغلق الباب من خلفه ٠٠ وحياه وكيل النيابـــة ٠٠ ثم بدأ تحقيقه :

ــ بابا ده راجل عظيم ٠٠ وعالم كبير ٠٠

ــ أه ٠٠ هو متمكن من علمه .

ــ على فكرة هو قال لنا على كل حاجة٠٠ ومش فـــاضل إلا إنـــك تقولنا من إمتى إشتغل فى الإستنساخ .

فأرتبك كمال وأهتزت أفكاره وسأل نفسه هل يقصـــد المحقـــق أن يوقع بي ٠٠ أو قد يكون الأب إعترف بكل شئ ٠٠٠ معقول !٠٠ ثـــم وجد نفسة فى فترة صمت طويلة عاد ليقول :

ــ الحقيقة من بعد ما أخذ الدكتوراه من روسيا ٠٠ قبل ما أتولد أنـــا يعنى كده بحوالى سبع أو ثمن سنين .

ـــ ويا ترى الجائزة اللى أخذها ·· كانت علشان الموضوع ده .

وبثقه قال كمال :

ـــ آه ·· وهو يستحق أكثر من كده ·· بس مالوش حظ .

ـــ قصدك مالوش حظ علشان فصل من الجامعة وهو عميد ··

ـــ بالضبط كده .

ـــ ما تفتكرش إيه السبب في فصله يا دكتور كمال ؟

ـــ بعد ما نجحت التجارب على إستنساخ الحيـــوان ·· حـــب إنـــه يجرب الفكرة على الإنسان ·· رفضت الجامعة وهو أصر على رأيـــة علشان كدة أجبرتة على الإستقالة .

ـــ ياه معقول الجامعة متخلفة إلى هذا الحد ·· بس أكيد هو إســـتمر بعد كدة .

ـــ آه طبعاً هو إستمر ·· لحد ما يأس .

ـــ يعنى المجذوب اللى لقيناه فى الحسين واحد من تجاربه ؟

ـــ لأ ·· أنا معرفش حاجة (قالـــــها بـــنرفزة وكأنـــه نـــادم علـــى الإسترسال معه بهذه البساطة)

ـــ طب أنا بأفرض بس ·· إنت إنفعلت ليه ؟

وبعد أن هدأ إنفعاله قال كمال :

ـــ أنا ما أنفعلتش ·· صيغة السؤال بس ما عجبتنيش .

ـ من حقك تجاوب ومن حقك ترفض ·· أنا ما بوجهش إتــهام ·· تشرب حاجه ساقعة ولا قهوة ·· أنا هابعت أجيب بابا .

ـ لا شكراً .

وحاصر وكيل النيابة الأب والإبن بأمر إستصدره قائلاً :

ـ إحنا يا دكاترة لازم نزور البيت .

فقال الأب مستفسراً :

ـ تفتيش يعنى ؟··

فقال وكيل النيابة مبرراً :

ـ هو مش بالضبط كده ·· كل اللى ها يحصل هــا نــروح ســوا نشرب القهوة عندكم فى البيت .

فنظر الإبن إلى أبيه ·· كأنه يريد أن يخــبرة بقلقــة نحــو هــذة الزيارة ·· ثم قال الأب :

ـ وليه إحنا ما نسبقش ؟·· أنا أرفض هذا التعامل .

فقال وكيل النيابة مهدداً :

ـ يا حضرة الدكتور أنا مش عايز أقول ·· إن إنتم محجوزين هنـا على زمة التحقيق ·· لكن عايز الأمور تمشى بشكل ودى .

وعلى الفور أنتقل وكيل النيابة بصحبة الضابط سامى وأربعة مــن العسس مع كل من الدكتور شاكر والأبن كمال إلى الفيلا بمدينة نصر .

وصمم سامى على زيارة البدروم أولاً ٠٠ ولم يجد الدكتور شـــاكر مفراً ٠٠ لوقف هذه الزيارة أو منعها ولكنهم نزلوا على الدرج المـؤدى للبدروم وصوت العواء يزداد ويتعالى ٠٠ فتتملكهم الرهبـــة المشــوبة بالحذر فتقدم سامى ويده على مسدسة خشية أى سلوك يعرضهم للخطـو ولما أضئ هذا المكان المظلم ٠٠ كاد المحقق أن يغمى عليه من هـــول ما رأى .

البدروم واسع ويحتل مساحة الفيلا بالكامل ٠٠ وملتصق بجـــداره أقفاص حديدية محكمة الإغلاق بواسطة أبواب موصـــــودة بـــالترابيس والأقفال . وبكل قفص شخصين كاملى الهيئة الأدمية ومتشابهين تمامـــاً فى جميع الأوصاف ، بينما يوجد بقفص خاص ومتطـــرف ٠٠ إمــــرأة كاملة التضاريس كانت تجلس على مقعدتها أرضاً وأحد ساقيها ممــــددة تماماً فى إتجاه ، والأخرى منثنية تحتها ، بينما تمسك بكلتا يديها أســياخ القفص ، ويرتدى الجميع أكياساً من القماش الأبيض السميك والرائحــــة داخل البدروم لا تطاق ٠٠ سواء المنبعثة منهم ٠٠ أو من قـــش الأرز المغطى أرضية القفص ٠

أما فى الركن المقابل فيحتوى على طـــاولات خشــبية ضخمـــة ، عليها دوارق زجاجية تحتوى على سوائل بألوان مختلفة منها مـــا هـــو فوق لهب ، ومنها ما هو دون لهب ويخرج منـــها أنـــابيب بإتســـاعات مختلفة ، فيها الملتوى بتموج ، وفيها المستقيم ٠٠ بينما هنـــاك خزانـــة تلمع بلون الفضة وعليها عدادات ومؤشرات وينفث منها بخـــار المـــاء المتكاثف بصوت مسموع ٠٠

كانت المرأة تأتى بحركات بطيئة بيديها وتلف برأسها يمينا ويســـارا وكأنها تنظر إلى شئ وهي شاردة الذهن ، ثم يعقب ذلك حركة عنيفـــة بصوت مواء حاد .. كما كانت تهرش بأظافرها ومن فوق القماش الـذى يستر عورتها بأماكن حساسة فى جسدها .. والكل فى وجـــوم بشـــفقة

نحوها ٠٠٠ بينما استخرج أحد العساكر نوته وقلماً وأخذ يسجل كل ما يراه ، واكتفى الباقون بالتسجيل فى الذاكرة فقط .

أما عن الشخصين فكان أحدهما يخرج زراعه من بين أسياج الحديد ويمسك بالأخرى أحد السياج ، بينما الآخر كان يمسك بكلتا يديه السياج ويهز قفصه بعنف حتى يكاد أن يقلعه من جذوره لولا متانة تثبيته .

وكان هناك قفص ، يبدو عليه أنه أفرغ حديثاً من حيوانه ، ويدل على ذلك قش الأرز المبعثر ، كأن أحداً كان يستنجد بإمساكه ، ومتناثر عليه بعض الروث الجاف ٠٠ الجو كئيب ، وموحش ، ومهين للهيئة الآدمية ، الأمر الذى جعل وكيل النيابة يسأل الدكتور شكرى قائلاً :

ـــ ما هذا يا دكتور شكرى ؟

ـــ دول نسخ ناقص غير كامل ٠٠ نتيجة فشل التجربة .

ـــ وليه ما أودعتهمش دار لراعية المتخلفين عقلياً ؟

فقال الطبيب متعجباً :

ـ دول حيوانات على الصورة البشرية .

ـــ ومين اللى سمح لك تقول عليهم كده ٠٠ معاك تصريح بالكلام ده ؟

ـــ لكن ده علم ٠٠ ومن إمتى العلم والفكر يحتاج تصريح ؟

ـــ أنا ما بحجرش على فكرك أو علمك ٠٠ لكن تعذيب وحبس المخلوقات دى أياً كان مسماهم ٠٠ حتى ما تلاقيش حد يدافع عنها ؟

ـــ أنا قايم برعايتهم كويس ٠٠

ـــ جوه السجن الأبدى ده ٠٠ وبدون جريمة أرتكبوها ؟٠٠ هى دى الرعاية يا دكتور؟

ـــ تفتكر إيه الصح ؟ ٠٠ إنى أطلقهم فى الشوارع يـــأذوا البشـــر ؟ ٠٠ ولا أحبسهم أفضل ؟

ـــ إنت كده لغيت صفة المجتمع ودورة فى بناء الشخصية .

ـــ لأ٠٠ أنا عزلت عن المجتمع مخلوقات ممكن تضرة .

ـــ يا دكتور إنت لو أخذت طفل رضيع وعزلتـــه فـــى غابـــة ٠٠ وسبته يكبر بعيد عن البشر ٠٠ سلوكه هايكون زى الحيوانات اللى انت مربيها دى ٠

فقال كمال مبرراً :

ـــ يعنى كان مجنون الجمالية تطور ؟

فأنتبه إليه وكيل النيابة والضابط سامى ٠٠ ثم قال سامى :

ـــ مجنون الجمالية ٠٠ يعنى مجنون الجمالية كان واحد من دول ؟

ثم قال وكيل النيابة موجهاً كلامه للأب :

ـــ إحنا لازم نفتش بقية الفيلا .

لقد كان الطابق الأول لسكن الدكتور شكرى ، كما لاحظ الجميـــع عدم وجود الزوجة مما أثار فضول الضابط سامى فسأل :

ـــ هو إنت مطلق ؟

فقال شكرى وكأنه جرح ٠٠ فهو محب كثيراً لزوجته :

ـــ لا ٠٠ جايز تكون فوق !٠٠

كانت جدران الصالون والصالة وغرفة المعيشة مليئـــة بـــالصور التذكارية للمناسبات المختلفة ولفت إنتباه وكيل النيابة صورة بـــالأبيض والأسود تجمع بين الأب والأم وكمال وشبيه له تماماً ولكـــن أحدهمـــا يزيد طولاً وعمراً عن الآخر بحوالى سنتين ، حيث كان الأكبر لا يزيـد عمرة عن ست سنوات ٠٠ فسأل الضابط وهو يشاور علـــى الصـــورة بإتجاه الأكبر :

ـــ مين فى دول كمال ؟

فقال كمال :

ـــ أنا الأكبر .

ثم صعدا إلى الطابق الثانى ٠٠ وقد كان للدكتور كمـــال ، وهـــو أعزب غير متزوج ، بالرغم من انه تعدى الأربعين بسنتين ، وبينما هم صعود الطابق الثالث ، وحينما أصبحوا على مقربة من الباب ، ســمعوا آنيناً لرجل ، وصوت نسائى يواســيه ، ممـــا أثــار فضـــول المحقــق والضابط ليعرف حقيقة ما بالداخل ، بينما أثار فضول الدكتور شـــكرى وابنه ليطمئنا على ما فعله آرثر ، ثم طرق سامي الباب ، وحينما فتـــح اكتشف أن الطابق الثالث ليس للسكن ٠٠ وإنما جزءاً هاماً من مستشفى عبارة عن غرفه جراحة مجهزة ، وغرف أخرى للنقاهة ٠٠ وبينما هـم يتنقلون بين الغرف ، وجدوا شخصياً أجنبياً ممدداً ، وإلى جواره علـــى سرير آخر ٠٠ كان هناك شخصاً يبدوا أنه فى غيبوبة تامـــة أو فـــاقد للحياة ٠٠ فلما رأى المحقق ذلك وهو يضع يده على صـــدر الشـــخص

الغائب عن الوعى ، لم يشعر له بنبض ٠٠ فسأل شكرى بعد أن ألغـــى إمتيازات الود التى سبق وأن تعامل بها معه هو وإبنه قائلاً :

ــ ممكن تفسر لى إيه اللى بيحصل فى الطابق الثالث ؟٠٠ وأظـــن إن له علاقة بآرثر فبدأ شكرى يجيب وقد شعر بعدم فائدة من الأنكار :

ــ دى جراحة نقل كلى من مستنسخ إلى شخص أجنبـــى مريـــض أنهكه فشله الكلوى .

ــ فيه تصريح عندك بكده ؟٠٠

ــ مافيش .

ــ مش ملاحظ إن دى كلها أعمال منافية للسلوك العام ٠٠ يؤســفنى إنى أقول لك ٠٠ إنت مقبوض عليك بعدة جرائم .

فتجهم كمال ٠٠ وبينما كان الضابط يحاول أن يتناول الكلابشـــات من أحد العسكر ليضعها فى يد شكرى ، كان الإبن كمال أســـرع مـــن الضابط حيث التقط مسدسه بخفة ليشهره فى صدر المحقق مهدداً إيـــاه عدم المساس بالأب ٠٠ وطالبهم بتسهيل سفره إلى الخارج ٠٠ ثم إقتـــاد المحقق إلى البدروم ليودعه أحد أقفاصه ٠٠ وأصبحت السيطرة لكمـــال بينما الأب والأم فى وجوم بندم ٠٠ لقد عمد الإبن إلى زيادة الجرائـــم فصدرت من الأم شهقة وكاد أن يغمى عليها من هول تصرف إبنها .

ثم هبطوا جميعاً إلى البدروم ٠٠ وبينما كان الإبن يأمر الأب بفتـــح القفص الثالث لحبس الضابط ووكيل النيابة ٠٠ وحين بـــدأ الأب يتقـــدم وإذا بالضابط يأتى ببعض الحركات اليابانية والمسماة بالكاراتية ، حيـــث فوجئ الجميع بقدم الضابط تطير في الهواء وتطيح بالمسدس مـــن يـــد الأبن ليفاجئ الإبن بلكمة طرحته أرضاً ، وسرعان ما إنقـــض عليـــه الضابط فقيد يداه ، وقامت العسكر بتقييـــد يـــد الأب ٠٠ وتركـــت الأم

لرعاية النسخ والمريض ٠٠ وما هى إلا لحظات حتى ركـب الجميـع سيارة الشرطة التي انطلقت ونفيرها يدوى وأضواءها تتلألأ ٠٠ بينمـا امدادات القوات تتوالى لتتولى حراسة الفيلا .

وصل الجميع إلى مديرية الأمن وبدأت سلسـلة التحقيقـات التـى إعترف من خلالها بالنسخ ، وأنه قام بأولى تجاربه كى يصنع إبناً آخـر بعد ولادة كمال ٠٠ حيث تأخر إنجابه لمدة سبع سنوات مـن الـزواج وخشيت الأم أن يحدث لإبنها مكروهاً كما حدث ذات مرة وهـو طفـل يحبوا ممسكاً بمسمار ، وراح يضعه فى مخرج كهربى (فيشة) ، ممـا جعل الأب يجد ويجتهد في تجاربه على الإستنساخ ، وذلك بأخذ خليـة حية من الإبن ، وبطريقة ما فصل أزواج ما يسمى بالكروموسـومات ، ولقح بها بويضة الأم وبعد أن أصبحت نطفة طرحها في رحم الأم مـدة كافية للحمل ، ثم أخرجت هذا المجذوب ٠٠ وبعد سنتين مـن ولادتـه حاول معه بشتى الطرق أن يعلمه ويدربه بعد أن لاحظ أن عقله وفكـره ومداركه قد توقفت تماماً ، كما لاحظت الأم إختـلاف شـكل وأمـاكن الأجهزة الداخلية لجسده ، فقالت الأم لشكرى إن هذا النسخ حيوان فـى صورة بشرية ، ولهذا تخلص منه شكري ، بأن أودعه خلسة داخل هـذا البيت القديم بالجمالية .

الفصل العاشر

أسفرت التحقيقات عن توجيه تهمـــة القتـل العمـد لشـكري ٠٠ وأحتجز مدة أربعين يوماً على ذمة التحقيق ، بعد أن تم إعتقـال آرثـر بتهمة الاشتراك ضمناً ، في إجراء جراحات مشـبوهة لنقـل أعضـاء بشرية لعملاء بالخارج ، نتج عنها إزهـاق لأرواح آدميـة مستنسـخة ودفنها بحديقة الفيلا ٠٠٠

أما كمال فقد وجهت إليه تهمة التعدي على رجال الشـرطة بعـد خطف سلاح الضابط سامي وتهديد وكيل النيابة بالقتل إذا لم يسهل أمـو تهريب أبيه للخارج ، وقد أحتجز أيضاً لنفس المـدة وبذلـك اكتملـت عناصر القضية وملابساتها الجنائية ، وأصبح خروج شكري وكمـال لا يتم إلا بكفالة مادية كبيرة على ذمة القضية ٠٠

أما آرثر طلب بواسطة حكومته أن يحاكم في بلاده ، فرفض طلبـه واكتفى بإستدعاء محامياً من بلاده للدفاع عنه ، وتحول موضوعه بعـد ذلك إلى أزمة سياسية ، دخلت في نطاق التهديدات والمساومات الدوليـة وأصبح الإفراج عنه أو الحكم عليه أو تحويل القضيـة برمتـها إلـى محاكم بلاده تخضع لعوامل مسيّسة ٠

وتوالت بعض الأيام ، كانت تقوم خلالها الأم برعايـة المريـض الأجنبي الذي نقلت إليه الكلى حديثاً ، أثناء القبض على شكري ، فـهي إمرأه لاتعرف الكلل أو الملل ، لذلك فقد وكلت لزوجها شكري وإبنـها كمال محامياً متمرساً ، تهرب إليه ثغرات أي قضية دون عناء منـه ، كما أن له هيئة مهيبة ، يسيطر بها على القضاة ٠

في هذه الأسرة ، التكاليف والوسائل المشروعة وغير المشـروعة لا تهم ، المهم النتائج التي يتوصلون إليها ، والتي تتفق مع أفكـارهم ،

ولذا تم دفع الكفالة وأتعاب المحاماه ، وإكراميـات العسـاكر ضعيفـي النفوس للإهتمام بشكري وكمال ٠

وانعقدت أول جلسة للمحاكمة ، وتماثل شكري أمام هيئة المحكمـة ولكنه في قفص الإتهام ، وتلا رئيس النيابة بنود الجرائم التي ارتكبـها ، ثم نادى رئيس المحكمة على الدفاع ٠٠٠ فقام بهيئته المهيبة وبثقة تامـة واتجه نحو منصة الدفاع ، ومن الغريب أنه لم يلاحظ وجود أي فـرد من أقارب شكري أو حتى زوجته بقاعة المحكمة ٠٠٠

وقف المحامي المتمرس وكنت أظنه سيطلب التـأجيل للإطـلاع وزيادة الأتعاب ٠٠ ولكنه إنطلق كالنمر الكاسر على هيئة المحكمة بعـد أن حياها قائلاً :

ـــ سيادة القاضي ٠٠ حضرات المستشـارين ٠٠ إن الإنسـان لا تكون له كينونة بشرية إلا بثلاثة أشياء كلنا نعلمها وهي :

أولاً : ولادة طبيعية من رحم أم ٠٠ مهما كانت طريقـة الإعـداد الأولي كتحضير النطفة في أنابيب أولاً ، ثم إيداعـها بـالرحم ٠٠٠ أو نتيجة نكاح شرعي أو غير شرعي ٠

ثانياً : نسب كامل من أم وأب وتسلسل جنيني غير مقطوع النسـب أي أن النطفة خلقت من حيوان منوي لرجل وبويضة أنثوية لأم بشرية

ثالثاً : عقل ٠٠ مهما كان نضوجه ٠٠ للتفكير ٠ والمستنسخ الـذي ابتدعه علم شكري ، لا يمت بأي صلة من الأشياء سـالفة الذكـر ٠٠ لذلك إنتفت عنه سببية البشرية ٠٠ والدليل على ذلك هو تكوين الأجهزة الداخلية لكل مستنسخ ، والضمور اللاحق بشكل المخ ، وكلـها مثبتـة وموجودة بملف القضية ٠٠ وبناءً على ذلك فـهذا المستنسـخ حيـوان

بصورة آدمية فقط والقانون لا يجرم ذبح الحيـــوان ٠٠ ولـــذا أطـــالب بالبراءة لموكلي بعد إذن هيئة المحكمة الموقرة ٠٠

وهنا دوى تصفيق حاد بالقاعة ٠٠ وصوت تعالى بمقولـــه "يحـــي العدل" على الرغم من أن الحضور ليسوا من أهل شكري ٠٠ وأغلـــب الظن أن بعضهم من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ٠

والتفت رئيس المحكمة إلى مستشاريه ، والضجيـــج بيـــن مؤيـــد ومعترض يعم المحكمة ٠٠ ثم اعتدل رئيس المحكمة وطرق بمطرقـــة كانت بيده ثلاث خبطات ، عم بعدها السكون ، ثم رفع حاجبيه وطرفـــا عينيه فوق نظارة القراءة ، وقال بكل ثقة :

ــ الحكم آخر الجلسة ٠

وتوالت النداءات على القضايا التالية ، ولم يكن بينها قضية كمـــال حيث كان محدداً لها يوم آخر ، ثم خرج المحـــامي إلـــى الإســـتراحة وتعقبه الصحفيين ومراسلي الأخبار والتليفزيونات العالمية والمصريـــة ، للإستفسار عن طبيعة القضية والتكهنات بالحكم فيها ٠٠٠ ولكن جـــاء سؤال متفلسف على لسان مراسل مصري:

ــ كيف بنيت حكمك على بشرية الإنسان بهذه البنود الثلاثة التـــي جاءت في دفاعك ؟!

فقال المحامي بثقة :

ــ عالم الإنسان يختلف عن عالم الحيوان فـــي طبيعـــة مجموعـــة العرف والعادات والتقاليد ٠٠ ولا ننكر أن الحيوان له فكر غريزي ٠٠ أي أنه يفكر ويتحرك من خلال الغريزة ولا يمكن فصـــل فكـــره عـــن غريزته إلا بالترويض ٠٠٠ أما الإنسان فله فكر إبداعي مبنـــي علـــى دراسة الإحتياجات الغريزية وفكر إبداعي للترفيه ٠٠ وفكـــر إبداعـــي

مستقل للبحث سواء فـــي العلــوم الســلوكية أو العلميـــة الكونيـــة ٠٠ والحيوانات يمكن تهجينها من فصائل مختلفة وتخليق سلالات تختلـــف عن الأصول ٠٠ أما الإنسان لم يتم تهجينه ٠٠ وإن تم ، فإنه لا يكـــون إلا بين إنسان وإنسان ٠٠

وسأل نفس المراسل :

ـــ هل المتخلف عقلياً من وجهة نظرك حيوان ؟

فقال المحامي نافياً :

ـــ كلا ٠٠ المتخلف عقلياً ٠٠ هو إنسان كامل الهيئة البشـــرية ٠٠ ولكن الخطأ فقط في أجهزة النواقل الحسية ٠٠ سواء الناقلة للمشـــاعر العامة الداخلية إلى الخارج ٠٠ أو الناقلة للسلوكيات من الخـــارج إلـــى داخله ٠٠ وبتفسير أوضح ٠٠ فإن المتخلف يفهم الوسط المحيـــط بـــه جيداً ٠٠ وحينما يترجم هذا الفهم إلى اشارات كهربية عصبية يحـــدث خلل ما في تخزينها وكذلك عند الاحتكاك بالبيئة ٠٠ فإن هناك خلل فـــي نقل المشاعر الداخلية ٠

وسألت مراسلة أخرى أجنبية :

ـــ لماذا لا تصنف المستنسخ كالمتخلف عقلياً وتدافع عنه ؟

فرد المحامي بثقة أكبر قائلاً :

ـــ أنا محامي للدفاع عن الإنسان ٠٠ وحقوقه ٠٠ أما المستنسخ فقد شهدت الفحص الطبي بعدم مماثلة أجهزته الداخلية لأجهزة الإنســان ٠٠ وكذلك المخ وهو الأساس في عمليـــة التصنيـــف ٠٠ وإذا كـــان فـــي المتخلف عقلياً خلل ٠٠ فهو عرض ظاهري ٠٠ وليس خلل في تكويـــن الأجهزة ٠٠ والدليل على ذلك الإنسان العاقل ٠٠ هنـــاك تبـــاين بيـــن

شخص وآخر ٠٠ فهذا لديه مناعة ضد الأمراض وذلك انعدمت مناعتـه وآخر سريع الاستجابة لأمر ما ٠٠ وغيره بطئ الاستجابة ٠٠ الــخ ٠ فكل ذلك لا ينفي سببية كونه بشراً ٠

وتوالت الأسئلة ٠٠ ومر الوقت سريعاً مما جعل المحامي ينظـــر في ساعته لينهض فجأة من مقامه ، ويذهب لمعرفة الحكم ٠٠ وبعـد أن تسرب إلى دهاليز ومكاتب ، هو يعرف فوائدها ٠٠ إنتهى موقفه عنـــد أحدها ، فدخل وسأل موظف خاص بها عن نتيجة الحكم فـــي القضيـــة رقم ٣٤٧ لسنة ١٩٩٨ جنايات مدينة نصر وجد أن الحكم هـــو بـــراءة المتهم لعدم وجود جريمة من أصله ، وأنه ليس هناك تشريعات قانونيـــة خاصة بخصومة الحيوان ٠٠٠ ولذلك أسرع المحامي بعمل التعزيـزات الأساسية لخروج شكري إلى الحياة ، وقد تعزز فكره ٠

في هذه الأثناء كان المجذوب بالمستشفى ، يلقى الرعايـــة الكافيـــة والخدمات الممتازة وحنان أم حسين وحب دولت ٠٠٠ لقد سخر الله لـــه كل ذلك فهو من خلقه مهما كانت وسيلة التخليق أو صورته ٠٠ وهـــو كائن حي ، اختلفت كينونته عن الإنسان ٠

انطلق شكري هو والمحامي في سيارة أجرة ، بعد أن صـــدر لـــه حكم بالبراءة إلى قسم البوليس التابع له شـــكري ، لإنـــهاء إجـــراءات الإفراج ٠٠ والعودة إلى عش الزوجية ، والترتيب لقضية كمال ٠

جابه شكري روتينية الإجراءات ببالغ الصبر والأنفة ٠٠ ممـــا زاد في قسوته وجبروته ٠٠ وما تسرب في نفسه مما لاقاه وعانـــاه خـــلال رحلة عمره سواء من الجامعة أو من أبحاثه وتجاربه على الإستنســـاخ وتجارته غير المشروعة مع آرثر، لم يهنأ باله بما جنـــى منـــها ٠٠٠ وكفاه ما جناه من وراء هذا النسخ الأول "مجذوب الجماليـــة " ٠٠٠ وإن كان يدري ما سيجلبه عليه هذا النسخ لقتله منذ كان طفـــلا ٠٠ ولكـــن

كيف يقتل شبيهاً بولده أو هو من ولده ؟٠٠٠ كيف يقتل نسيجاً حيوياً و له كينونة هي من أصل ولده ، والفارق هو كالفارق بين كيان كامل وكيان أجوف ؟ ولو كان شكري يدرك بما أوتي من حواس أن هناك أدنى فائدة من هذا النسخ ، لأبقاه وما فرط فيه ، حتى ولو صلبه داخل غرفة نومه ، أو في صالون جلسته المفضل ٠٠ ولكنه أدرك أن النسخ هذا وجود لا وجود له ٠٠ حتى أنه قد صنفه في رتبة أدنى من الرتبة الحيوانية ٠

فالوجود ٠٠ أن تعرف ما لا تعرف وتُعرِّف ما تعرف ٠٠ تبادلية بين فصائل الموجودات على ساحة هذا الكون الفسيح ٠٠ والنسخ الآدمي ، حلقة منفصلة عن الوجود البشري ٠٠ أما النسخ في أي رتبة أدنى من الآدمية هي من سنن الحياة ٠٠ فهناك نسخ نباتي ناجح ونسخ حيواني ناجح ٠٠ أما النسخ البشري فلن يكون ، نظراً لانتفاء صفة الأنساب ٠٠ فكيف نصنع من خلية مأخوذة من أنثى ثم نلقح بها بويضة أنثوية أيضاً ثم ينتج بعد ذلك نسخاً ، ونطلق على صاحبة الخلية صفة الأب وهي أنثى ٠٠ ثم نطلق على صاحبة البويضة صفة الأم وهي أيضاً أنثى ؟

كيف ذلك ؟ ٠٠

إنه لن يتم ٠٠ وإن تم ٠٠ فليس بالكمال المنشود ، هذا ما استخلصه كمال من جملة أبحاثه وتجاربه ، ورفضته الجامعة حين أجبرته على الإستقالة لإصراره ٠

عاد شكري إلى عش الزوجية ولديه إصرار بتدمير نسخه وحرق خلاصة تجاربه وبداية حياة جديدة مع علم جديد هو الجينات وسيكون البحث أفضل مع إبنه ٠٠ العالم النابغ الشاب كمال حين يخرج من سجنه ٠٠

عندما دخل شكري والمحامي البيت وجد الزوجة ٠٠ وقد هدها الحزن وأنهك قواها ٠٠ فراحت في ثبات عميق بغرفة نومها ، ولم يؤثر فيها صوت النسخ بالبدروم وصراخ الجوعى منهم ، أو صوت دخول شكري الذي كان يحتفظ بنسخة من مفاتيح بيته ، كانت بأمانات الحجز بقسم الشرطة ، فهرول مسرعاً إلى البدروم المظلم وفتح بابه ، وأضاء المكان بقداحة غليونه الذهبية ٠٠ وما هي إلا ثوان معدودة ٠٠ حتى انقض عليه نسخه اللذين هربوا من أقفاصهم ، بعد أن نزعوا حديد أقفاصها المثبت بالجدران ، وتكالبوا عليه بأنيابهم وأظافرهم ينهشوا لحمه ٠٠ فأخرج المحامي مسدسه وأطلق عليهم الأعيرة النارية فأرداهم قتلى ، وهرب إلى الشارع ، ولم يدر شيئاً عن الأنثى المستنسخة ٠٠ فقد كانت متوارية خلف الطاولة الخشبية الضخمة وهي مذعورة ولكنها تناولت القداحة الذهبية حين طاحت من يد شكري أثناء سقوطه وأخذت تداعبها فأنطلقت النيران منها ، ولما أحرقت يدها ، دستها في أعواد القش ، وما هي إلا لحظات حتى تحول المكان إلى آتون جحيمي ، أتى على الأخضر واليابس والحي في الفيلا ٠

ومرت السنين خرج بعدها كمال من السجن بعد أن قضى مدة العقوبة ، يبحث عن النسخ المشابه له ، فوجد أنه لقى حتفه نتيجة الكيماويات العلاجية والأبحاث التي أجريت عليه بالمستشفى ، فبدأ كمال يبحث عن أم حسين ٠٠ ولكن من نوع آخر ٠

تمت

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٣٣٨ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي .I.S.B.N
977-5414-24-5

تحذير

تليفون المؤلف
٠١٠١٤٥٨٤٩٨

صدر للمؤلف عن مكتب النيل للطبع والنشر

- الإنسان ليس للبيع سنة ٢٠٠١
  (روايتان في كتاب)
- رحلة إلي عمق الكون سنة ٢٠٠١

تحت الطبع

- أنهار الشمس (رواية من الخيال العلمي)
- للوجود فكرة (كتاب علمي)

الناشــر

مكتب النيل للطبع والنشر

١٢ شارع عبده بدران

ميدان الباشا - المنيل

ت : ٣٦٢٢٥٧٨